

✨ قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾
 مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾
 وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
 فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾
 وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾
 وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُم تَمَنَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَعَوَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾
 فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٤٨﴾
 وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

قال لهم إبراهيم عليه السلام:- (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم و ما تريدون؟

(أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) لأنه استشعر أنهم رسل أرسلهم الله لبعض الشئون المهمة 31

(قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) و هم قوم لوط قد أجرموا أشركوا بالله و كذبوا رسولهم

و أتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين 32

(لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً) مُعلّمة على كل حجر منها سمة صاحبه (عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ)

لأنهم أسرفوا و تجاوزوا الحد فجعل إبراهيم يجادلهم في قوم لوط لعل الله يدفع عنهم العذاب فقال الله:-

(يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) [هود: 76] 34

(فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ)

و هم بيت لوط عليه السلام إلا امرأته فإنها من المهلكين ﴿٣٦﴾

(وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً) يعتبرون بها و يعلمون أن الله شديد العقاب و أن رسله صادقون مصدقون.

* جعل محلّتهم بحيرة منتنة خبيثة عبرة (لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) 37

فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم و الأحكام:

- 1- أن من الحكمة قص الله على عباده نبأ الأخيار و الفجار ليعتبروا بحالهم و أين وصلت بهم الأحوال.
- 2- فضل إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الاهتمام بشأنها و الاعتناء بها.
- 3- مشروعية الضيافة و أنها من سنن إبراهيم الخليل الذي أمر الله هذا النبي و أمته أن يتبعوا ملته و ساقها الله فى هذا الموضع على وجه المدح له و الثناء.
- 4- أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام: بالقول- و الفعل لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون:-
أى: أكرمهم إبراهيم و وصف الله ما صنع بهم من الضيافة قولاً و فعلاً و مكرمون أيضاً عند الله تعالى.
- 5- أن إبراهيم عليه السلام قد كان بيته مأوى للطارقين و الأضياف لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان و إنما سلكوا طريق الأدب في الابتداء السلام فرد عليهم إبراهيم سلاماً أكمل من سلامهم و أتم لأنه أتى به جملة اسمية دالة على الثبوت و الاستمرار.
- 6- مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان أو صار له فيه نوع اتصال لأن في ذلك فوائد كثيرة.
- 7- أدب إبراهيم و لطفه فى الكلام حيث قال: (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) و لم يقل: " أنكرتكم " و بين اللفظين من الفرق ما لا يخفى
- 8- المبادرة إلى الضيافة و الإسراع بها لأن "خير البر عاجله" و لهذا بادر إبراهيم بإحضار قرى أضيافه.
- 9- أن الذبيحة الحاضرة التى قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له ليس فيها أقل إهانة بل ذلك من الإكرام كما فعل إبراهيم عليه السلام و أخبر الله أن ضيفه مكرمون.
- 10- ما من الله به على خليله إبراهيم من الكرم الكثير و كون ذلك حاضراً عنده و فى بيته معداً لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق أو الجيران أو غير ذلك.
- 11- أن إبراهيم هو الذي خدم أضيافه و هو خليل الرحمن و كبير من ضيف الضيفان.
- 12- أنه قرب به إليهم فى المكان الذى هم فيه و لم يجعله فى موضع و يقول لهم: " تفضلوا أو اتوا إليه " لأن هذا أيسر عليهم و أحسن.
- 13- حسن ملاطفة الضيف فى الكلام اللين خصوصاً عند تقديم الطعام إليه فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً و قال: (أَلَا تَأْكُلُونَ) و لم يقل: " كلوا " و نحوه من الألفاظ التى غيرها أولى منها
*بل أتى بأداة العرض فقال: (أَلَا تَأْكُلُونَ)
*فينبغى للمقتدى به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة: ما هو المناسب و اللائق بالحال كقوله لأضيافه:
" ألا تأكلون " أو:- "ألا تفضلون علينا و تشرفونا و تحسنون إلينا " ونحوه.
- 14- أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب فإن عليه أن يزيل عنه الخوف و يذكر له ما يؤمن روعه و يسكن جأشه كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: (لَا تَخَفْ) و أخبروه بتلك البشارة السارة بعد الخوف منهم.

15- شدة فرح سارة امرأة إبراهيم حتى جرى منها ما جرى من صك وجهها و صرتها غير المعهودة.

16- ما أكرم الله به إبراهيم و زوجته سارة من البشارة بغلام عليم.

ذكر بعض الانبياء 38-46

أي: (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ)

و ما أرسله الله به إلى فرعون و ملئه بالآيات البينات و المعجزات الظاهرات آية للذين يخافون العذاب الأليم

* فلما أتى موسى (سُلْطَانِي مُبِينٍ) 38

(فَتَوَلَّى) فرعون (بِرُكْبَةٍ) أعرض بجانبه عن الحق و لم يلتفت إليه استكبارا و عنادا أو تعزز بأصحابه

و قدح فيه أعظم القدح فقالوا: (وَقَالَ سَاحِرٌ آخَرٌ مِّمَّنْ) أي: إن موسى لا يخلو

* إما أن يكون ساحرا و ما أتى به شعبة ليس من الحق في شيء

* و إما أن يكون مجنوناً لا يؤخذ بما صدر منه لعدم عقله.

* هذا و قد علموا خصوصا فرعون أن موسى صادق كما قال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)

و قال موسى لفرعون: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأُظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)

[الإسراء: 102] 39

(فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَذَلَتْهُمْ فِي أَلِيمٍ) البحر (وَهُوَ مُلِيمٌ) و هو آتٍ ما يلام عليه بسبب كفره و جحوده و فجوره 40

(وَفِي عَادٍ) القبيلة المعروفة آية عظيمة (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) التي لا خير فيها حين كذبوا نبينهم ﷺ

* البخارى 1035 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا (الرياح التي تهب من مشرق الشمس و نصرته بها ﷺ)

كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم)

وَأَهْلِكَتْ عَادٌ بِالْدَّبُورِ» (الرياح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم) 41

(مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ) البالية

* فالذى أهلكهم على قوتهم و بطشهم دليل على كمال قوته و اقتداره الذى لا يعجزه شيء المنتقم ممن عصا 42

(وَفِي ثَمُودَ) آية عظيمة (إِذْ قِيلَ لَهُمْ)

حين أرسل الله إليهم صالحا ﷺ فكذبوه و عاندوه و بعث الله له الناقة آية مبصرة فلم يزدتهم ذلك إلا عتوا و نفورا.

فقيل (تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ) الصيحة العظيمة المهلكة

(وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۖ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ 65 فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَّتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) [هود: 64 - 66]

(وَهُمْ يَنْظُرُونَ) إلى عقوبتهم بأعينهم 44

(فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ) ينجون به من العذاب

(وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ) لأنفسهم 45

(و) كذلك ما فعل الله (وَقَوْمَ نُوحٍ) حين كذبوا نوحًا عليه السلام (مَنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) وفسقوا عن أمر الله فأرسل الله عليهم السماء و الأرض بالماء المنهمر فأغرقهم الله تعالى عن آخرهم و لم يبق من الكافرين ديارًا

قدرة الله في كونه 51-47

و هذه عادة الله و سنته فيمن عصاه ﴿٤٦﴾

* يقول تعالى مبينًا لقدرته العظيمة: - (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا) خلقناها و أتقناها و جعلناها سقفا للأرض و ما عليها.

(بِأَيْدٍ) بقوة و قدرة عظيمة (مصدر الفعل آد يئيد أيدا أي اشتد وقوى و ليس جمع يد)

(وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) لأرجائها و أنحائها

* و إنا لموسعون أيضا على عبادنا بالرزق الذى ما ترك الله دابة فى مهامه القفار و لجج البحار و أقطار العالم العلوى و السفلى إلا و أوصل إليها من الرزق ما يكفيها و ساق إليها من الإحسان ما يغنيها. فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات و تبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات. جاء في موقع الكحيل: يتحدث رب العالمين عز وجل في هذه الآية الكريمة عن اتساع السماء و يخبر عباده أن السماء التي يرونها هي بناء محكم و أنها دائمة التوسع ومع أن الناس كانوا يظنون و لفترة طويلة أن الكون ثابت لا يتغير حجمه إلا أن القرآن حدثنا عن هذه الحقيقة العلمية و أكد من خلال هذه الآية أن السماء تتسع و تتمدد باستمرار (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ). فبعد تجارب عديدة قام بها علماء الفلك وصلوا بنتيجتها إلى حقيقة علمية تعتبر من أهم اكتشافات القرن العشرين ألا و هي توسع الكون. و هنا تتجلى عظمة هذه الآية الكريمة يؤكد جميع علماء الفلك أن الكون في حالة توسع مستمر فقد بدأ من نقطة صغيرة ثم بدأ يتمدد و يتوسع حتى يومنا هذا وهذا ما تحدث عنه القرآن في قوله تعالى:

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) 47

(وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) جعلناها فراشا للخلق يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم:-

من مساكن و غراس و زرع و حرث و جلوس و سلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم و مآربهم * و لما كان الفراش قد يكون صالحا للانتفاع من كل وجه و قد يكون من وجه دون وجه أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاده على أكمل الوجوه و أحسنها و أثنى على نفسه بذلك فقال:-

(فَنِعْمَ الْمَهْدُودُونَ) الذى مهد لعباده ما اقتضته حكمته و رحمته و إحسانه 48

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين ذكر و أنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات

* جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ أَزْوَاجٌ:- سَمَاءٌ وَ أَرْضٌ وَ لَيْلٌ وَ نَهَارٌ وَ شَمْسٌ وَ قَمَرٌ وَ بَرٌّ وَ بَحْرٌ وَ ضِيَاءٌ وَ ظَلَامٌ وَ إِيمَانٌ

وَكُفْرٌ وَ مَوْتُ وَ حَيَاةٌ وَ شَقَاءٌ وَ سَعَادَةٌ وَ جَنَّةٌ وَ نَارٌ حَتَّى الْحَيَوَانَاتُ جِنَّةٌ وَ إِنْسٌ ذُكُورٌ وَ إِنَاثٌ وَ النَّبَاتَاتُ وَ لِهَذَا قَالَ: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) لِتَعْلَمُوا أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

*لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك و حكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها لتقوموا بتنميتها و خدمتها و تربيتها فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع 49

*فلما دعا العباد النظر لآياته الموجبة لخشيته و الإنابة إليه أمر بما هو المقصود من ذلك و هو الفرار إليه

(فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ) الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا و باطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا و باطنًا فرار من الجهل إلى العلم

و من الكفر إلى الإيمان و من المعصية إلى الطاعة و من الغفلة إلى ذكر الله

*فمن استكمل هذه الأمور فقد استكمل الدين كله و قد زال عنه المرهوب وحصل له نهاية المراد و المطلوب.

*و سمي الله الرجوع إليه فرارًا لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره

*و في الرجوع إليه أنواع المحاب و الأمن و السرور و السعادة و الفوز فيفر العبد من قضائه و قدره إلى قضائه و قدره

*و كل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى فإنه بحسب الخوف منه يكون الفرار إليه

(إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) منذر لكم من عذاب الله و مخوف بين النذارة ﴿٥٠﴾

(وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) هذا من الفرار إلى الله

بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله من الأوثان و الأنداد و القبور و غيرها مما عبد من دون الله

و يخلص العبد لربه (العبادة و الخوف و الرجاء و الدعاء و الإنابة)

(إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ﴿٥١﴾

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوَابُهُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

فَنَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

52-سورة الطور-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴿٩﴾

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾

يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

يقول الله مسلياً لرسوله ﷺ عن تكذيب المشركين بالله المكذبين له القائلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزله عنه و أن هذه الأقوال ما زالت دأباً و عادة للمجرمين المكذبين للرسول (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ)

فما أرسل الله من رسول (إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ) إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون 52

يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم -الأولين و الآخرين- المعرضون عن النبي و عاقبة الظالمين 52-60

(أَتَوَاصَوَابُهُمْ) هل هي أقوال تواصوا بها و لقن بعضهم بعضاً بها؟ فلا يستغرب -بسبب ذلك- اتفاقهم عليها:-

(بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) تشابهت قلوبهم و أعمالهم بالكفر و الطغيان فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟ و هذا هو الواقع كما قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [البقرة: 118])

* و كذلك المؤمنون لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق و طلبه و السعى فيه بادروا إلى الإيمان برسولهم

و تعظيمهم و توقيرهم و خطابهم بالخطاب اللائق بهم 53

* يقول تعالى آمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين:-

(فَنَوَلَّ عَنْهُمْ) لا تبال بهم و لا تؤاخذهم و أقبل على شأنك.

(فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) فليس عليك لوم في ذنبهم و إنما عليك البلاغ و قد أدبت ما حملت و بلغت ما أرسلت به 54

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) والتذكير نوعان:

1-تذكير بما لم يُعرف تفصيله مما عرف مجمله بالفطر والعقول

أ-فإن الله فطر العقول على محبة الخير و إيثاره

ب-و كراهة الشر و الزهد فيه و شرعه موافق لذلك فكل أمر و نهى من الشرع فإنه من التذكير و تمام التذكير أن يذكر ما فى المأمور به (من الخير و الحسن و المصالح و ما فى المنهى عنه من المضار)

2-و النوع الثانى من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين

و لكن انسحبت عليه الغفلة و الذهول ← فيذكرون بذلك و يكرر عليهم ليرسخ فى أذهانهم و ينتبهوا و يعملوا بما تذكروه من ذلك ← و ليحدث لهم نشاطاً و همة توجب لهم الانتفاع و الارتفاع.
*و أخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين لأن ما معهم من (الإيمان -و الخشية -و الإنابة-و اتباع رضوان الله)
← يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى و تقع الموعظة منهم موقعها

كما قال تعالى:- (فَذَكِّرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِى 9 سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتِى 10 وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى) [الأعلى: 9 - 11]

*و أما من ليس له معه إيمان و لا استعداد لقبول التذكير فهذا لا ينفع تذكيره بمنزلة الأرض السبخة(ذات ملح و نز) التى لا يفيدها المطر شيئاً

*و هؤلاء الصنف لو جاءتهم كل آية ← لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم55

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

*اسلوب استثناء يفيد الحصر.هذه الغاية التى خلق الله الجن و الإنس لها و بعث جميع الرسل يدعون إليها

و هى عبادته المتضمنة :-

1-لمعرفته 2-و محبته 3-و الإنابة إليه4- و الإقبال عليه5-و الإعراض عما سواه

و ذلك يتضمن معرفة الله تعالى فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله

*بل كلما ازداد العبد معرفة لربه ← كانت عبادته أكمل

*فهذا الذى خلق الله المكلفين لأجله فما خلقهم لحاجة منه إليهم56

(مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) فما يريد منهم من رزق

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) و ما يريد أن يطعموه تعالى الله الغنى المغنى عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه-

و إنما جميع الخلق فقراء إليه فى جميع حوائجهم و مطالبهم الضرورية و غيرها57

و لهذا قال: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ)

كثير الرزق الذى ما من دابة فى الأرض و لا فى السماء إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها

(ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

الذى له القوة و القدرة كلها الذى أوجد بها الأجرام العظيمة السفلية و العلوية و بها تصرف فى الظواهر و البواطن و نفذت مشيئته فى جميع البريات
 *فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و لا يعجزه هارب و لا يخرج عن سلطانه أحد
 *و من قوته أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم
 *و من قدرته و قوته أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى و عصفت بترابهم الرياح و ابتلعهم الطيور و السباع و تفرقوا و تمزقوا فى مهامه القفار و لجج البحار
 فلا يفوته منهم أحد و يعلم ما تنقص الأرض منهم فسبحان القوى المتين.

***جاء فى كتاب أسماء الله الحسنى الثابتة فى الكتاب و السنة محمود عبد الرزاق: المتين:-**

الاسم يدل على ذات الله و على صفة المتانة و الشدة بدلالة المطابقة و على ذات الله وحدها بالتضمن و على الصفة وحدها بالتضمن و لم يذكر الوصف بنصه فى القرآن و السنة و إنما ذكر بالمعنى
 قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) [مؤ2:102]
 وقال سبحانه: (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ) [الرعد:13]

و قال: (الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض و وئيل للكافرين من عذاب شديد) [إبراهيم:2]

*و الاسم يدل باللزوم على الحياة و القيومية و القدرة و القوة و العزة و العظمة و غير ذلك من صفات الكمال و اسم الله المتين دل على صفة من صفات الذات **58**

(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) و كذبوا محمداً ﷺ من العذاب و النكال

(ذُنُوبًا) نصيباً و قسطاً (مِثْلَ ذُنُوبِ أَحْصِيهِمْ) مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم و التكذيب.

(فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ) بالعذاب

*فإن سنة الله فى الأمم واحدة فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب و لو تأخر عنه مدة **59**

*و لهذا توعدهم الله بيوم القيامة فقال: **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)**

و هو يوم القيامة الذى قد وعدوا فيه بأنواع العذاب و النكال و السلاسل و الأغلال فلا مغيث لهم و لا منقذ من عذاب الله تعالى نعوذ بالله منه **60**

تفسير سورة الطور-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

*البخارى -765 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:- اثبات العذاب للمكذبين و النعيم للمتقين و أنواعه 1-28

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ»

*البخارى -1619 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ:

شَكَّوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَ أَنْتِ رَاكِبَةٌ»

فَطُفْتُ وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ وَ هُوَ يَقْرَأُ: (وَالطُّورِ وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ)

*يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة المشتملة على الحكم الجليلة على البعث و الجزاء للمتقين و المكذبين

*فأقسم (وَالطُّورِ)

الذى هو الجبل الذى كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران ﷺ و أوحى إليه ما أوحى من الأحكام

* و في ذلك من المنة عليه و على أمته ما هو من آيات الله العظيمة و نعمه التى لا يقدر العباد لها على عد و لا ثمن.

*الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر و ما لا ينبت الشجر المثمر فليس بطور ﴿١﴾

(وَكُتِّبَ مَسْطُورٍ) يحتمل أن المراد به :

1-**اللوح المحفوظ** الذى كتب الله به كل شىء

2-و يحتمل أن المراد به **القرآن الكريم** الذى هو أفضل كتاب أنزله الله محتويا على نبأ الأولين و الآخرين

و علوم السابقين و اللاحقين ﴿٢﴾

(فِي رَقٍّ) ورق (مَنْشُورٍ) مكتوب مسطر ظاهر غير خفى لا تخفى حاله على كل عاقل بصير ﴿٣﴾

(وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) و هو البيت الذى فوق السماء السابعة المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام

الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه لربهم ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة

و قيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام و المعمور بالطائفين و المصلين و الذاكرين كل وقت و بالوفود إليه بالحج و العمرة.

*البخارى-3207 عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعَصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:- فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟

قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَ نَبِيِّ قَرَفَعَ (كشف لى وقرب منى) لى الْبَيْتِ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ:-

هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ (بيت في السماء مسامت للكعبة في الأرض) يُصَلَّى فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا

إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ (دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم) وَ رُفِعَتْ لى سِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى (شجرة ينتهى إليها علم الملائكة ولم يجاوزها أحد إلا

رسول الله ﷺ) فَإِذَا نَبِقْهَا (حملها و ثمها) كَأَنَّهُ قِلَالٌ (جرار معروفة عند المخاطبين ومعلومة القدر عندهم وتقدر القلة بمائة لتر تقريبا) هَجَرَ (مدينة في اليمن)

وَوَرَقْهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفِيلِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَثْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ (قيل هما السلسبيل و الكوثر) وَ نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ

فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَفِي الْجَنَّةِ وَ أَمَّا الظَّاهِرَانِ: النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ

*مسلم 260 فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ

وَ إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ

*لهذا وجد ابراهيم مسندا ظهره الي البيت المعمور لأنه باني الكعبة الارضية و الجزء من جنس العمل و هو بحيال الكعبة

كما أقسم الله به فى قوله: (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) و حقيق بيت أفضل بيوت الأرض الذي قصده بالحج و العمرة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام التي لا يتم إلا بها و هو الذى بناه إبراهيم و إسماعيل و جعله الله مثابة للناس و أمنا أن يقسم الله به و يبين من عظمتة ما هو اللائق به و بحرمتة 4

(وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى: السماء التي جعلها الله سقفا للمخلوقات و بناء للأرض تستمد منها أنوارها و يقتدى بعلاماتها و منارها و ينزل الله منها المطر و الرحمة و أنواع الرزق.

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) [الأنبياء: 32]

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)

المملوء ماء قد سجره الله و منعه من أن يفيض على وجه الأرض مع أن مقتضى الطبيعة أن يغمر وجه الأرض * و لكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان و الفيضان ليعيش من على وجه الأرض من أنواع الحيوان * و قيل: إن المراد بالمسجور الموقد الذى يوقد نارا يوم القيامة فيصير نارا تلظى ممتلئا على عظمتة و سعته من أصناف العذاب.

*كقوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) [التكوير: 6] أى أضمرت فتصير نارا تتأجج محيطة بأهل الموقف

هذه الأشياء التي أقسم الله بهامما يدل على أنها من آيات الله و أدلة توحيده و براهين قدرته و بعثه الأموات * و جاء العلماء ليصوروا هذا المشهد الرائع في أعماق المحيط.... تمتد الصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار و المحيطات ففى قاع البحار هنالك تصدعات للقشرة الأرضية و شقوق يتدفق من خلالها السائل المنصهر من باطن الأرض. و قد اكتشف العلم الحديث هذه الشقوق حيث تتدفق الحمم المنصهرة فى الماء لمئات الأمتار و المنظر يوحي بأن البحر يحترق!

هذه الحقيقة حدثنا عنها القرآن عندما أقسم الله تعالى بالبحر المسجور أى المشتعل يقول عز وجل:

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) [الطور: 6].

إن القرآن لو كان صناعة بشرية لامتزج بثقافة عصره فمئذ أربعة عشر قرناً لم يكن لدى إنسان من الحقائق إلا الأساطير و الخرافات البعيدة عن الواقع و إن خلّو القرآن من أى من هذه الأساطير يمثل برهاناً مؤكداً على أنه كتاب رب العالمين أنزله بقدرته و بعلمه.

و لكن قد يتساءل المرء عن سر وجود هذه الصدوع. و لماذا جعل الله الأرض متصدعة فى معظم أجزائها؟ إن الجواب عن ذلك بسيط...فلولا هذه الصدوع و لو كانت القشرة الأرضية كتلة واحدة لا شقوق فيها لحبس الضغط تحتها بفعل الحرارة و الحركة و أدّى ذلك إلى تحطم هذه القشرة و انعدمت الحياة. *لذلك يمكن القول إن هذه الصدوع هى بمثابة فتحات تتنفس منها الأرض و تخرج شيئاً من ثقلها و حرارتها و ضغطها للخارج.

*بتعبير آخر هي صمام الأمان الذي يحفظ استقرار الأرض و توازنها.

إن حقيقة البحر المشتعل أو (البحر المسجور) أصبحت يقيناً ثابتاً.

فنحن نستطيع اليوم مشاهدة الحمم المنصهرة في قاع المحيطات و هي تتدفق و تلهب مياه المحيط ثم تتجمد و تشكل سلاسل من الجبال قد يبرز بعضها إلى سطح البحر مشكلاً جزراً بركانية. هذه الحقيقة العلمية لم يكن لأحد علم بها أثناء نزول القرآن و لا بعده بقرون طويلة فكيف جاء العلم إلى القرآن و من الذي أتى به في ذلك الزمان؟

إنه الله تعالى الذي يعلم السرّ و أخفى و الذي حدثنا عن اشتعال البحار و يحدثنا عن مستقبل هذه البحار عندما يزداد اشتعالها: -(وإذا البحار سجّرت) [التكوير: 6]

ثم يأتي يوم لتنفجر هذه البحار يقول تعالى: (وإذا البحار فجّرت) [الانفطار: 3]

و هنا نكتشف شيئاً جديداً في أسلوب القرآن أنه يستعين بالحقائق العلمية لإثبات الحقائق المستقبلية فكما أن البحار نراها اليوم تشتعل بنسبة قليلة سوف يأتي ذلك اليوم عندما تشتعل جميعها ثم تنفجر و هذا دليل علمي على يوم القيامة.

و الآن مع بعض الصور التي تشهد على قدرة الخالق عز وجل لتأمل و نسبح الله تعالى: كيف تختلط النار بالماء و على الرغم من ذلك لا تطفئ الماء النار و لا تبخر النار الماء بل يبقى التوازن فسبحان الله!

*بعد تراكم الحمم المنصهرة تتشكل الجزر البركانية و يؤكد العلماء إن جميع بحار الدنيا يوجد في قاعها شقوق تتدفق منها الحجارة المنصهرة



و أن هذه الظاهرة من الظواهر الكونية المربعة 6

و لهذا قال: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لا بد أن يقع و لا يخلف الله وعده و قيله ﴿٧﴾

(مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) يدفعه و لا مانع يمنعه لأن قدرة الله تعالى لا يغالبها مغالب و لا يفوتها هارب ﴿٨﴾

◀ مرض الفاروق لسماء آية!

عن هشام بن الحسين قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتخيفه - وفي بعض الروايات: فتخنقه - فيبكي حتى يسقط، ويلزم بيته اليوم واليومين حتى يُعاد، ويحسبونه مريضاً شعب الإيمان

☆ وقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً رجلاً يتهجّد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾، قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه ﴿٩﴾. التخويف من النار و التعريف بحال دار البوار

حتى يُعاد، ويحسبونه مريضاً **شعب الإيمان**

وقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً رجلاً يتعبد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾^(٢)، قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه^(٣). **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**

***ثم ذكر وصف ذلك اليوم الذي يقع فيه العذاب فقال:-**

(يَوْمَ تَمُورُ) تدور (السَّمَاءُ مَوْرًا) وتضطرب وتدوم حركتها بانزعاج و عدم سكون 9

(وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا)

نزول عن أماكنها و تسير كسير السحاب و تتلون كالعن المنفوش و تبث بعد ذلك حتى تصير مثل الهباء و ذلك كله لعظم هول يوم القيامة و فظاعة ما فيه من الأمور المزعجة و الزلازل المقلقة التي أزعجت هذه الأجرام العظيمة فكيف بالآدمي الضعيف؟! 10

(فَوَيْلٌ) **الويل**: كلمة جامعة لكل عقوبة و حزن و عذاب و خوف (يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) 11

*ثم ذكر وصف المكذبين الذين استحقوا به الويل فقال:- (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) في باطلهم. فعلومهم و بحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب بالحق و التصديق بالباطل و أعمالهم أعمال أهل الجهل و السفه و اللعب

*بخلاف ما عليه أهل التصديق و الإيمان من العلوم النافعة و الأعمال الصالحة 12

(يَوْمَ يَدْعُونَ) يدفعون (إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعًّا) دفعاً و يساقون إليها سوقاً عنيفاً و يجرون على وجوههم 13

و يقال لهم توبيخاً و لوما:- (هَذِهِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)

فاليوم ذوقوا عذاب الخلد الذي لا يبلغ قدره و لا يوصف أمره 14

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ
 إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ
 وَوَقَّهَتْهُمْ رُبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ
 وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَتُبَعِّثُهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَأْمُرُنَا بِمَا يَشَاءُونَ وَمَا أَنتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ
 مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْمَ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا
 وَلَا تَأْسِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾
 قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَوْفَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾
 أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

تقول لهم الزبانية (أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)

يحتمل أن الإشارة إلى النار و العذاب ما يدل عليه سياق الآية أى:-لما رأوا النار و العذاب:-

قيل لهم من باب التقرير:-"أهذا سحر لا حقيقة له فقد رأيتموه أم أنتم فى الدنيا لا تبصرون "

أى: لا بصيرة لكم و لا علم عندكم بل كنتم جاهلين بهذا الأمر لم تقم عليكم الحجة؟

و الجواب انتفاء الأمرين:

أ-أما كونه سحرا فقد ظهر لهم أنه أحق الحق و أصدق الصدق المخالف للسحر من جميع الوجوه

ب-و أما كونهم لا يبصرون فإن الأمر بخلاف ذلك بل حجة الله قد قامت عليهم و دعوتهم الرسل إلى الإيمان

بذلك و أقامت من الأدلة و البراهين على ذلك ما يجعله من أعظم الأمور المبرهنة الواضحة الجلية.

و يحتمل أن الإشارة بقوله: (أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)

إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الحق المبين و الصراط المستقيم أى: هذا الذي جاء به محمد ﷺ سحر أم عدم

بصيرة بكم حتى اشتبه عليكم الأمر

و حقيقة الأمر أنه أوضح من كل شيء و أحق الحق و أن حجة الله قامت عليهم 15

(أَصَلَوْهَا) ادخلوا النار على وجه تحيط بكم و تستوعب جميع أبدانكم و تطلع على أفئدتكم.

(فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) أى: لا يفيدكم الصبر على النار شيئا و لا يتأسى بعضكم ببعض

(وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) [الزخرف: 39] و لا يخفف عنكم العذاب

و ليست من الأمور التي إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها و زالت شدتها.

(إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

و لا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله. و إنما فعل بهم ذلك بسبب أعمالهم الخبيثة و كسبهم **16**
*لما ذكر تعالى عقوبة المكذبين ذكر نعيم المتقين ليجمع بين الترغيب و التهيب فتكون القلوب بين الخوف
و الرجاء فقال:-

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ) لربهم الذين اتقوا سخطه و عذابه بفعل أسبابه من امتثال الأوامر و اجتناب النواهي.

(فِي جَنَّاتٍ) بساتين قد اكتست رياضها من:-

الأشجار الملتفة- و الأنهار المتدفقة- و القصور المحدقة- و المنازل المزخرفة)

(وَنَعِيمٍ) و هذا شامل لنعيم ((القلب - و الروح - و البدن)) **17**

(فَنَكِيهِينَ) معجبين به متمتعين على وجه الفرح و السرور

(يَمَّا ءَانَتْهُمْ) بما أعطاهم **(رَبُّهُمْ)** من النعيم الذي لا يمكن وصفه و لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

(وَوَقَّهْمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

فرزقهم المحبوب- و نجاهم من المرهوب لما فعلوا ما أحبه الله و جانبوا ما يسخطه و يأباه **18**

(كُلُوا وَاشْرَبُوا) مما تشتهي أنفسكم من أصناف المآكل و المشارب اللذيذة

(هَنِيئًا) متهنئين بتلك المآكل و المشارب على وجه الفرح و السرور و البهجة و الحبور.

(يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) نلتهم ما نلتهم بسبب أعمالكم الحسنة و أقوالكم المستحسنة.

*كقوله: **(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا يَمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)** [الحاقة: 24] **19**

(مُتَّكِئِينَ عَلَى) الالتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن و الراحة و الاستقرار

(سُرُرٍ) هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر و الفرش الزاهية.

(مَصْفُوفَةٍ) ^طو وصف الله السرر بأنها مصفوفة ليدل ذلك على :-

كثرتها و حسن تنظيمها و اجتماع أهلها و سرورهم بحسن معاشرتهم و لطف كلام بعضهم لبعض

*وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) [الحجر: 47]

(فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ 42 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ 43 عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) [الصفات: 42 - 44]

(يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ) [الدخان: 53] (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ 15 مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) [الواقعة]

* فلما اجتمع لهم من نعيم القلب و الروح و البدن ما لا يخطر بالبال و لا يدور فى الخيال من المآكل و المشارب اللذيذة و المجالس الحسنة الأنيقة لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرور بدونهن فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافا و خلقا و أخلاقا و لهذا قال:-

(وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)

و هن النساء اللواتي قد جمعن من:—

1-جمال الصورة الظاهرة و بهاءها 2-و من الأخلاق الفاضلة

ما يوجب أن:-

1-يحيرن بحسنهن الناظرين 2-و يسلبن عقول العالمين

3-و تكاد الأفئدة أن تطيش شوقا إليهن و رغبة فى وصالهن

و العین: حسان الأعین مليحاتها التى صفا بياضها و سوادها 20

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ) و هذا من تمام نعيم أهل الجنة أن (الْمَقَنَا) ألحق الله

(بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُم) الذين اتبعوهم بإيمان

* أى:الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعا لهم بالإيمان

* و من باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم

*فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنازل آبائهم فى الجنة و إن لم يبلغوها جزاء لآبائهم و زيادة فى ثوابهم

(وَمَا أَلْنَاهُمْ) أنقصناهم

(مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) و مع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئا

* و أما فضله على الآباء بركة دعاء الابناء :-

ابن ماجه (3660) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ "

*مسلم (1631) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:

1- إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ 2-أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ 3-أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "

* و لما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك يلحق الله بهم أبناءهم و ذريتهم أخبر أنه ليس حكم الدارين

حكما واحدا فإن النار دار العدل و من عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب و لهذا قال:-

(كُلُّكُمْ لَأَنذِرِي يَوْمَ كَسَبَ رَهِيْنٌ)

مرتهن بعمله فلا تزر وازرة وزر أخرى و لا يحمل على أحد ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا

* هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور أخبر الله عن مقام العدل و هو أنه لا يؤاخذ احدا بذنب أحد بل (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)

كقوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ 38 إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ 39 فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ 40 عَنِ الْمُجْرِمِينَ) [المدهثر] 21

(وَأَمَدَدْنَاهُمْ) أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع و رزقنا العميم

(بِفِكَرَةٍ) من العنب و الرمان و التفاح و أصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون

(وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْنَهُونَ) من كل ما طلبوه و اشتتهه أنفسهم من لحم الطير و غيرها 22

(يَنْتَرِعُونَ) يتعاطون (فِيهَا كَأْسًا) تدور كاسات الرحيق و الخمر عليهم و يتعاطونها فيما بينهم

و تطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب و أباريق و كأس

(لَا لَعْنٌ فِيهَا) ليس فى الجنة كلام لغو و هو الذى لا فائدة فيه

(وَلَا تَأْسِيمٌ) و هو الذى فيه إثم و معصية

* و إذا انتفى الأمران ثبت الأمر الثالث و هو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر مسر للنفوس مفرح للقلوب

يتعاشرون أحسن عشرة و يتنادمون أطيب المنادمة (المرافقة فى الشراب)

و لا يسمعون من ربهم إلا ما يقر أعينهم و يدل على رضاه عنهم و محبته لهم.

* وَ قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مَعَ الشَّيْطَانِ. فَزَعَهُ اللَّهُ خَمْرَ الْآخِرَةِ عَنْ قَادُورَاتِ خَمْرِ الدُّنْيَا وَ أَذَاهَا فَتَنَى عَنْهَا - كَمَا تَقَدَّمَ -

1- صَدَاعَ الرَّأْسِ 2- وَ جَاعَ الْبَطْنِ 3- وَ إِزَالََةَ الْعَقْلِ بِالْكُلِّيَّةِ وَ **نضيف:-** 4- مَرَارَةَ فِي الْحَلْقِ وَ أَخْبَرَ أَنَّهَا لَا تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْكَلَامِ السَّيِّئِ الْفَارِغِ عَنِ الْفَائِدَةِ الْمُتَضَمِّنِ هَذَيَانَا وَ فُحْشًا وَ أَخْبَرَ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا وَ طِيبِ طَعْمِهَا وَ مَخْبَرِهَا فَقَالَ: (بَيْضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ 46 لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) [الصافات]

(غَوْلٌ) ما يغتال العقل و لا فساد من فساد خمر الدنيا (يُنْزَفُونَ) تذهب عقولهم. وَ قَالَ (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ) [الواقعة: 19]

وَ قَالَ هَاهُنَا: (يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ 23

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ) خدم شباب (لَهُمْ)

(كَانَتْهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَكُونٌ) من حسنهم و بهائهم يدورون عليهم بالخدمة و قضاء ما يحتاجون إليه

و هذا يدل على: - كثرة نعيمهم و سعته و كمال راحتهم.

* كقوله (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ 17 بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) [الواقعة]

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلُؤًا مَنْثُورًا) [الإنسان] 24

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عن أمور الدنيا و أحوالها 25

(قَالُوا) في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحيرة و السرور:-

(إِنَّا كُنَّا قَبْلُ) أي: في دار الدنيا

(فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) خائفين وجلين فتركنا من خوفه الذنوب و أصلحنا لذلك العيوب 26

(فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا) بالهداية و التوفيق (وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ) العذاب الحار الشديد حره 27

﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا﴾

عن عبّاد بن حمزة قال: دخلتُ على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ ^(٢)، قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيدُ وتدعو، قال عبّاد: فذهبتُ إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعتُ وهي تستعيدُ وتدعو ^(٣)!

(إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) أن يقينا عذاب السموم و يوصلنا إلى النعيم

و هذا شامل :- ((لדعاء العبادَة- و دعاء المسألة))

أي: لم نزل نتقرب إليه بأنواع القربات و ندعوه في سائر الأوقات

(إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) فمن بره بنا و رحمته (أنالنا رضاه و الجنة- و وقانا سخطه و النار) 28

(فَذَكِّرْ) يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر الناس مسلمهم و كافرهم لتقوم حجة الله على الظالمين و يهتدى بتذكيره الموفقون و أنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين و أذيتهم و أقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه- مع علمهم أنه أبعد الناس عنها و لهذا نفى عنه كل نقص رموه به فقال:-

(فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتٍ رَبِّكَ) بعبه و لطفه

(يَكَاهِنُ) له رِيٌّ من الجن يأتيه بأخبار بعض الغيوب التي يضم إليها مائة كذبة

(وَلَا يَحْتُونُ) فاقد للعقل- يتخبطه الشيطان من المس-

بل أنت أكمل الناس عقلا و أبعدهم عن الشياطين و أعظمهم صدقا و أجملهم و أكملهم ﴿٢٩﴾

و تارة (أَمْ يَقُولُونَ) فيه:- إنه (شَاعِرٌ) يقول الشعر والذي جاء به شعر و الله يقول: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) [يس 69]

(نَنْزِئُكُمْ فِيهِ رَبِّ الْمُنُونِ) ننتظر به الموت فسيبطل أمره و نستريح منه 30

(قُلْ) لهم جوابا لهذا الكلام السخيف:- (تَرَيَصُّوْا) انتظروا بى الموت

(فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِيْنَ)

نترى بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده- أو بأيدينا و لمن تكون العاقبة في الدنيا و الاخرة 31

- أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا^{٤٣} أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ^{٤٢} أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ^{٤١} بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ^{٤٠}
- فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ^{٣٩} إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ^{٣٨} أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ^{٣٧}
- أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ^{٣٦} بَلْ لَا يُوقِنُونَ^{٣٥} أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُصْطَفُونَ^{٣٤}
- أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ^{٣٣} فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^{٣٢} أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ^{٣١}
- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ^{٣٠} أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ^{٢٩}
- أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا^{٢٨} فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ^{٢٧} أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ^{٢٦} سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^{٢٥}
- وَلَا يَرَوْنَ كَسَفًا^{٢٤} مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ^{٢٣} فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ^{٢٢}
- يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^{٢١} وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^{٢٠}
- وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^{١٩} وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ^{١٨} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ^{١٧}

(أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا^{٤٣}) أى: أهذا التكذيب لك و الأقوال التي قالوها؟

هل صدرت عن عقولهم و أحلامهم؟ فبئس العقول و الأحلام التي أثرت ما أثرت و صدر منها ما صدر
فإن عقولا جعلت أكمل الخلق عقلا مجنونا و أصدق الصدق و أحق الحق كذبا و باطلا لهى العقول التي ينزه
المجانين عنها

(أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ^{٤٢}) أم الذي حملهم على ذلك ظلمهم و طغيانهم؟
و هو الواقع فالطغيان ليس له حد يقف عليه

* فلا يستغرب من الطاعى المتجاوز الحد كل قول و فعل صدر منه³²

(أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ^{٤١}) أى: تقول محمد القرآن و قاله من تلقاء نفسه؟

(بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ^{٤٠}) فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوا- كفرهم هو الذى حملهم على هذه المقالة³³

(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ^{٣٩} إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ^{٣٨})

أنه تقوله فإنكم العرب الفصحاء و الفحول البلغاء و قد تحداكم أن تأتوا بمثله فتصدق معارضتكم أو تقروا
بصدقه و أنكم لو اجتمعتم أنتم و الإنس و الجن لم تقدرُوا على معارضته و الإتيان بمثله

(قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^[الإسراء: 88])

فحينئذ أنتم بين أمرين:

1- إما مؤمنون به مهتدون بهديه

2- وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل 34

(**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**)

و هذا استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل و الدين
و بيان ذلك:-

أنهم منكرون لتوحيد الله مكذبون لرسوله و ذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

و قد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:-

1- إما أنهم خلقوا من غير شيء أى: لا خالق خلقهم بل وجدوا من غير إيجاد و لا موجد و هذا عين المحال.

2- أم هم الخالقون لأنفسهم و هذا أيضا محال فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

3- فإذا بطل هذان الأمران و بان استحالتهم تعين القسم الثالث أن الله الذى خلقهم

* و إذا تعين ذلك:- علم أن الله تعالى هو المعبود وحده الذى لا تنبغى العبادة و لا تصلح إلا له تعالى.

*البخارى 4854 - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: (**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**) * أَمْ خُلِقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ

(قارب قلبي الطيران لما سمع هذه الآية مما تضمنته من بليغ الحجة والقائل هو جبير بن مطعم رضي الله عنه وكان سماعه لهذه الآية من جملة ما حملة على الدخول في الإسلام)

كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسرى و كان إذ ذلك مشركا فكان سماعه هذه الآية من جملة ما حملة على الدخول الى الاسلام بعد ذلك)

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ وَ لَمْ أَسْمَعْهُ زَادَ الَّذِي

قَالُوا لِي 35

﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ** ﴾

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي
الْمَغْرِبِ ﴿ **وَالطُّورِ** ﴾ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ** ﴾
﴿ ٣٥ ﴾ **أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ (٣)؛ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رحمته الله: إِنَّمَا كَانَ أَنْزَعَهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ حُسْنِ
تَلْقِيهِ مَعْنَى الْآيَةِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلِيغِ الْحُجَّةِ، فَاسْتَدْرَكَهَا بِلَطِيفِ طَبْعِهِ،
وَاسْتَشَفَّ مَعْنَاهَا بِذِكْرِ فَهْمِهِ **الاسماء و الصفات للبيهقي**

(**أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**) و هذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: -

ما خلقوا السماوات و الأرض فيكونوا شركاء لله و هذا أمر واضح جدا.

(**بَلْ**) و لكن المكذبين (**لَا يُوقِنُونَ**) ليس عندهم علم تام و يقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية و العقلية 36

(**أَمْ عِنْدَهُمْ**)أعند هؤلاء المكذبين (**خَزَائِنُ**)رحمة (**رَبِّكَ**) فيعطون من يشاءون و يمنعون من يريدون؟

أى: فلذلك حجروا على الله أن يعطى النبوة عبده و رسوله محمدا ﷺ

و كأنهم الوكلاء المفوضون على خزائن رحمة الله و هم أحقر و أذل من ذلك

فليس في أيديهم لأنفسهم نفع و لا ضر و لا موت و لا حياة و لا نشور.

(**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**

سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: 32]

(**أَمْ هُمُ الْمُضَيَّطُونَ**)

المتسلطون على خلق الله و ملكه بالقهر و الغلبة؟ ليس الأمر كذلك بل هم العاجزون الفقراء

-المحاسبون للخلق-المتصرفون في الملك و بيدهم مفاتيح الخزائن **37**

(**أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِصِمُونَ فِيهِ**)

ألهم اطلاع على الغيب و استماع له بين الملاء الأعلى فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم؟

(**فَلْيَأْتِ مُسْتَعِصِمُهُم**)المدعى لذلك

(**بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) و أنى له ذلك؟-بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعل و المقال

* و الله تعالى عالم الغيب و الشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول يخبره بما أراد من علمه.

* و إذا كان محمد ﷺ أفضل الرسل و أعلمهم و إمامهم و هو المخبر بما أخبر به من توحيد الله و وعده

و وعيده و غير ذلك من أخباره الصادقة

و المكذبون هم أهل الجهل و الضلال و الغي و العناد فأى المخبرين أحق بقبول خبره؟

* خصوصا و الرسول ﷺ قد أقام من الأدلة و البراهين على ما أخبر به ما يوجب أن يكون خبره عين اليقين

و أكمل الصدق و هم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة فضلا عن إقامة حجة **38**

(**أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ**) كما زعمتم

(**وَلَكُمْ الْبَنُونَ**) فتجمعون بين المحذورين؟

جعلكم له الولد و اختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟

(**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**) [الإسراء: 40] **39**

(**أَمْ تَسْأَلُهُمْ**)يا أيها الرسول

(**أَجْرًا**)أجرة على تبليغ الرسالة

(فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) ليس الأمر كذلك- فهم من أدنى شئ يثقلهم

*بل أنت الحريص على تعليمهم تبرعا من غير شئ بل تبذل لهم الأموال الجزيلة على قبول رسالتك

و الاستجابة لأمرك و دعوتك و تعطى المؤلفة قلوبهم ليتمكن العلم و الإيمان من قلوبهم 40

(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ) ما كانوا يعلمونه من الغيوب فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله

فعارضوه و عاندوه بما عندهم من علم الغيب؟

*و قد عُلِمَ أنهم الأمة الأمية الجهال الضالون و رسول الله ﷺ هو الذى عنده من العلم أعظم من غيره

و أنبأ الله من علم الغيب على ما لم يطلع عليه أحدا من الخلق

*و هذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية و النقلية على فساد قولهم و تصوير بطلانه بأحسن الطرق و أوضحها

و أسلمها من الاعتراض 41

(أَمْ يُرِيدُونَ) بقدهم فيك و فيما جئتهم به

(كَيْدًا) ^طيبتلون به دينك و يفسدون به أمرك؟

(فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) كيدهم فى نحورهم و مضرته عائدة إليهم

و قد فعل الله ذلك -و لله الحمد- فلم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه فنصر الله نبيه و دينه

عليهم و خذلهم و انتصر منهم 42

(أَمْ لَهُمْ آلَهُ) ألهم إله يدعى و يرجى نفعه و يخاف من ضره (غَيْرُ اللَّهِ) ؟

(سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

فليس له شريك فى الملك و لا فى الوجدانية و لا فى العبادة

و هذا هو المقصود من الكلام الذى سيق لأجله:-

1-و هو بطلان عبادة ما سوى الله و بيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة

2-و أن ما عليه المشركون هو الباطل

3-و أن الذى ينبغى أن يعبد و يصلى له و يسجد و يخلص له [دعاء العبادة- و دعاء المسألة]

هو الله المألوه المعبود كامل الأسماء و الصفات كثير النعوت الحسنة و الأفعال الجميلة ذو الجلال و الإكرام

و العز الذى لا يرام الواحد الأحد الفرد الصمد الكبير الحميد المجيد.

*يقول تعالى فى ذكر بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح قد عتوا عن الحق و عسوا

(ييسروا و صلبها من الفعل عسا) على الباطل و أنه لو قام على الحق كل دليل لما اتبعوه و لخالفوه و عاندوه 43

(وَأَن يَرَوْا كِسْفًا) قطع كبار من العذاب (مِّنَ السَّمَاءِ) من الآيات الباهرة (سَاقِطًا)

(يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) متلاكم على العادة

*أى: فلا يبالون بما رأوا من الآيات و لا يعتبرون بها و هؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب و النكال

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ¹⁴ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ)

[الحجر: 44]

و لهذا قال: (فَذَرَهُمْ) دعهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ)

و هو يوم القيامة الذى يصيبهم فيه من العذاب و النكال ما لا يقادر قدره و لا يوصف أمره⁴⁵

(يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) لا قليلا و لا كثيرا

و إن كان فى الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمنا قليلا فيوم القيامة يضمحل كيدهم و تبطل مساعيهم

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) من عذاب الله⁴⁶

(وَلِأَن لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ)

كقوله (وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [السجدة: 21]

*لما ذكر الله عذاب الظالمين فى القيامة: أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة

و ذلك شامل لعذاب الدنيا [بالقتل -و السبى -و الإخراج من الديار] و لعذاب البرزخ و القبر

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب و شدة العقاب.

*نعذبهم فى الدنيا و نبتليهم بالمصائب لعلمهم يرجعون و ينبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا جلي عنهم

مما كانوا فيه عادوا الي أسوأ ما كانوا عليه⁴⁷

*و لما بين تعالى الحجج و البراهين على بطلان أقوال المكذبين أمـ رسول الله ﷺ :-

توجيهات للنبي ﷺ 48-49

1- أن لا يعبأ بهم شيئا

2- (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) و أن يصبر لحكم ربه القدرى و الشرعى بلزومه و الاستقامة عليه

و وعده الله بالكفاية بقوله: (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا⁴⁸) أى: بمرأى منا و حفظ و اعتناء بأمرك

و أمره أن يستعين على الصبر بالذكر و العبادة فقال:- (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) أى: من الليل⁴⁸

ففيه الأمر بقيام الليل أو حين تقوم إلى الصلوات الخمس بدليل قوله:-

(وَمِنَ اللَّيْلِ) أى: آخر الليل و يدخل فيه صلاة الفجر (فَسَبِّحْهُ)

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) من كل مجلس

*أبى داود 4859 عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:-

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِأَخْرَةِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ:
 «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»
 فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتُ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»
 (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) اذْكُرْهُ وَاعْبُدْهُ بِالتَّلَاوَةِ وَ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ كَمَا قَالَ:-

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإِسْرَاءُ: 79]

(و) افعل ذلك عند صلاة الصبح وقت (وَلَا دَبَرَ النُّجُومِ)

*أبي داود -775 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»
 ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا
 «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ وَ نَفْخِهِ وَ نَفْثِهِ»
 *مسلم -399 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ:
 «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»

*البخاري-1154 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

مَنْ تَعَارَّ (انتبه وهو يسبح أو يستغفر أو يذكر الله تعالى بأي ذكر) مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ:-

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
 ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ
 *وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ خ-1169 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ

وَ فِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ 724: "رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا" (٤٨)

.....

53-سورة النجم-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤)
 عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨)
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١) أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ
 ۝ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ (١٤) عِنْدَ هَاجِنَةِ الْأَمْوَىٰ ۝ (١٥) إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ (١٦)
 مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۝ (٢٠)
 أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ (٢١) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۝ (٢٣)
 أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝ (٢٦)

*البخارى -4863 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أَنْزَلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمِ
 قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ سَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ
 فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا وَ هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ
 يقسم تعالى بالنجم عند هويته فقال:-

اثبات الوحي 18-1

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) سقط في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل و إقبال النهار لأن في ذلك من آيات الله
 العظيمة ما أوجب أن أقسم به

* و الصحيح أن النجم اسم جنس شامل للنجوم كلها

* و أقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي لأن في ذلك مناسبة عجيبة:-

فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء فكذلك الوحي و آثاره زينة للأرض

فلولا العلم الموروث عن الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم.

* عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) يَعْْنِي: الْقُرْآنُ إِذَا نَزَلَ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا

يَمْسُهُ إِلَّا الْمُظْهَرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الْوَاقِعَةُ: 75 - 80] 1

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) ضل

و المقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه و الغي في قصده

* و يلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه هاديا حسن القصد ناصحا للأمة بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم و فساد القصد .

* و قال (صَاحِبُكَ وَمَا غَوَى) لينبههم على ما يعرفونه منه من الصدق و الهداية و أنه لا يخفى عليهم أمره

* هَذَا هُوَ الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ وَ هُوَ الشَّهَادَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ لَيْسَ بِضَالٍّ

وَ هُوَ: الْجَاهِلُ: الَّذِي يَسْلُكُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ بَغْيٍ عِلْمٍ

وَ الْغَاوِي: هُوَ الْعَالِمُ بِالْحَقِّ الْعَادِلُ عَنْهُ قَصْدًا إِلَى غَيْرِهِ

* فَتَرَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ وَ شَرَعَهُ عَنْ مُشَابَهَةِ أَهْلِ الضَّلَالِ كَالنَّصَارَى وَ طَرَائِقِ الْيَهُودِ وَ عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ وَ كِتْمَانِهِ وَ الْعَمَلِ بِخِلَافِهِ بَلْ هُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ

فِي غَايَةِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ الْإِعْتِدَالِ وَ السَّدَادِ 2

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه—مَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوَى وَ غَرَضٍ 3

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى و التقوى فى نفسه و فى غيره.

و دل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ كما قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [النساء: 113]

و أنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى و عن شرعه:—لأن كلامه لا يصدر عن هوى و إنما يصدر عن وحي

يوحى 4

* ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ و هو جبريل عليه السلام أفضل الملائكة الكرام و أقواهم و أكملهم فقال:—

(عَلَّمَهُ) نزل بالوحى على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام

(شَدِيدُ الْقُوَى) شديد القوة الظاهرة و الباطنة قوى على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه

قوى على إيصال الوحى إلى الرسول ﷺ و منعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه

و هذا من حفظ الله لوحيه أن أرسله مع هذا الرسول القوى الأمين.

* (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ 19 ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ 20 مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) [التكوير] 5

(ذُو مِرْقٍ) قوة و خلق حسن و جمال ظاهر و باطن.

(فَأَسْتَوَى) جبريل عليه السلام—الذى ظهر و استوى على صورته الحقيقية للرسول ﷺ 6

(وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى) أفق السماء الذى هو أعلى من الأرض فهو من الأرواح العلوية التى لا تنالها الشياطين

و لا يتمكنون من الوصول إليها.

* الافق الاعلى: الذى يأتى منه الصبح أو مطلع الشمس 7

(ثُمَّ دَنَا) جبريل من النبى ﷺ لإيصال الوحى إليه.

(فَدَلَى) عليه من الأفق الأعلى 8

(فَكَانَ) في قرينه منه

(قَابَ قَوْسَيْنِ)

قدر قوسين و القوس (آلة على هيئة هلال تُرمى بها السهام) -أو قدر ما بين الوتر والقوس أو ما بين طرفي القوس

(أَوْ) بل (أَذْنَى) أقرب من القوسين

* وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول ﷺ بالرسالة و أنه لا واسطة بينه و بين جبريل عليه السلام

و قَوْلُهُ: (أَوْ أَذْنَى) قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الصَّيْغَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي اللَّغَةِ لِإِثْبَاتِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ وَ نَفْيِ مَا زَادَ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ:-

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة: 74]

أَي: مَا هِيَ بِأَلْيَنَ مِنَ الْحِجَارَةِ بَلْ هِيَ مِثْلُهَا أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِي الشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ.

وَ كَذَا قَوْلُهُ: (يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء: 77]

وَ قَوْلُهُ: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات: 147]

أَي: لَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا **بَلْ** هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ حَقِيقَةً أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا.

فَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ لَا شَكَّ وَ لَا تَرَدُّدَ فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ هَاهُنَا وَ هَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) .

وَ هَذَا الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذَا الْمُقْتَرَبَ الدَّانِي الَّذِي صَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ عليه السلام هُوَ قَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ أَبِي ذَرٍّ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا سَنُورِدُ أَحَادِيثَهُمْ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

*البخارى -3232 عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِي قَالَ:- سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم: 10] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ 9

(فَأَوْحَى) الله بواسطة جبريل عليه السلام

(إِلَى عَبْدِهِ) محمد ﷺ

(مَا أَوْحَى) الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم و النبأ المستقيم 10

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

اتفق فؤاد الرسول ﷺ و رؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه و تواطأ عليه سمعه و قلبه و بصره

و هذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه و أنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه و لا شبهة و لا ريب

فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره لم يشك بذلك.

و يحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷻ ليلة أُسرى به من آيات الله العظيمة و أنه تيقنه حقا بقلبه و رؤيته

هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة

و قيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء و تكليمه إياه

و هذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله فأثبتوا بهذا رؤية الرسول لربه في الدنيا و لكن الصحيح القول الأول و أن المراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه السياق

و أن **محمدًا** ﷺ رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين:-

1-مرة في الأفق الأعلى تحت السماء الدنيا كما تقدم

2-و المرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسرى برسول الله 11

(**أَقْمَرُونَهُ عَلَى مَا بَرَى**) أتكذبون محمدًا ﷺ فتجادلونه على ما يراه و يشاهده من آيات ربه 12

و لهذا قال: (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**) رأى محمد جبريل مرة أخرى نازلاً إليه.

المرة الاولى:-

*البخاري -4925 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَ هُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ:-

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ رُغْبًا

المرة الثانية:-

مسلم 177 فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»

-من أوصافه:-

*البخاري 3233- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم: 18] قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أْفُقَ السَّمَاءِ»

*البخاري -3234 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ

و لَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَ خَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأَفُقِ»

*مسلم -178 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:- سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»

(و معناه حجاب النور فكيف أراه ؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار و منعها من إدراك ما حالت بين الراى وبينه)

*مسلم -176 عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) [النجم: 11]

(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) [النجم: 13] قَالَ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»

*مسلم -178 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:-

عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا» 13

(**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**) و هى شجرة عظيمة جدا فوق السماء السابعة

سميت سدرة المنتهى:

لأنه ينتهى إليها ما يعرج من الأرض و لا ينزل إليها ما ينزل من الله من الوحي و غيره

أو لانتهاه علم الخلق إليها أى: لكونها فوق السماوات و الأرض فهى المنتهى فى علوها أو لغير ذلك

فرأى محمد ﷺ جبريل في ذلك المكان الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة عند تلك الشجرة **14**

(عندما جنة المأوى) الجنة التي تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء و المتيقن أولياء الله تعالى. الجنة الجامعة لكل نعيم بحيث كانت محلا تنتهى إليه الأمانى و ترغب فيه الإرادات و تأوى إليها الرغبات * و هذا دليل على أن الجنة فى أعلى الأماكن و فوق السماء السابعة **15**

(إذ يغشى السدرة ما يغشى) يغشاها من أمر الله شىء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل **16**

(ما زاع البصر) ما زاع يمنة و لا يسرة عن مقصوده

(وما طغى) تجاوز البصر

و هذا كمال الأدب منه صلوات الله و سلامه عليه أن قام مقاما أقامه الله فيه و لم يقصر عنه و لا تجاوزه و لا حاد عنه و هذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم الذي فاق فيه الأولين و الآخرين * فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور:-

1- إما أن لا يقوم العبد بما أمر به أو يقوم به على وجه التفريط أو على وجه الإفراط

2- أو على وجه الحيدة يمينا و شمالا و هذه الأمور كلها منتفية عنه **17**

◀ الأدب العظيم

سمعتُ أستاذي يومًا وهي تفسر قول الله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾^(١)، واستشعرت مع حديثها كيف كان رسول الله ﷺ وهو في رحلته في السماء مع جبريل غاضًا لبصره عن فضول النظر، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم منه عليه الصلاة والسلام، حتى مدحه الله بما في الآية، وأصبحت هذه الآية كلما تذكرتها طريقًا لي بأن أترك فضول النظر أينما كنت وحيثما ذهبت!

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) من الجنة و النار هَوْلِهِ:- (لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا) [طه: 23]

أي: الدالة على قُدْرَتِنَا وَ عَظَمَتِنَا.

وَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْتَدْلَ مَنْ ذَهَبَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الرُّؤْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَمْ تَقَعْ لِأَنَّهُ قَالَ:-

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

وَ لَوْ كَانَ رَأَى رَبَّهُ لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَ لَقَالَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ "سُبْحَانَ"

و غير ذلك من الأمور التي رآها ليلة أسرى به.

* وَ تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُثْبِتُ الرُّؤْيَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَ يَسْتَشْهَدُ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

وَ تَابَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ وَ قَدْ خَالَفَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ التَّابِعِينَ وَ غَيْرِهِمْ.

* البخارى -4855 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:- يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي (قام من الفزع والخوف من هيبة الله عز وجل) مِمَّا قُلْتُ
أَيْنَ أَنْتَ (أين فهمك) مِنْ ذَٰلِكَ (من استحضار ثلاثة أشياء ينبغي أن لا تغيب عنك) مَنْ حَدَّثَكَ هُنَّ فَقَدْ كَذَبَ:-

1- مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ:

(لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103]

(لا تحيط به وفهمت عائشة رضي الله عنها من هذا نفى الرؤية)

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [الشورى: 51]

(وحيا: بأن يلقى في روعه - نفسه - أو رؤيا في المنام ورؤيا الأنبياء حق) (من وراء حجاب: أي يكلمه من غير واسطة بحيث يسمع كلامه ولا يراه)

2- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ: (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: 34]

(ما يقع منها ولها في اليوم الذي يلي يومها أو في مستقبل الزمان)

3- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ:- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) [المائدة: 67]

وَ لَكِنَّهُ «رَأَىٰ جِبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ» وَقَوْلُهُ: (وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ)
*مسلم -177 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: -

يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ

قَالَ: وَ كُنتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَقَدْ رَأَىٰ بِالْأُنْفِ الْمُبِينِ) [التكوير: 23] (وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ) [النجم: 13]؟

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ

رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» فَقَالَتْ:

أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103]

*مسلم -178 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ ﷺ لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:

عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»

*مسلم (173) عَنْ طَلْحَةَ عَنْ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَىٰ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ

مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»

قَالَ: " (إِذْ يَغْشَى) [النجم: 16] السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى" قَالَ:-

«فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ» (الفرش دويبة ذات جناحين تتهاافت في ضوء السراج واحدها فراشه)

قَالَ:- فَأَعْطَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا:- أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَ أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

وَ غُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْحِمَاتِ (معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها والتقحم

الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له الملقحات) 18

مناقشة عبدة الاصنام 19-30

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ)

*لما ذكر تعالى ما جاء به محمد ﷺ من الهدى و دين الحق و الأمر بعبادة الله و توحيده:-

ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء و لا تنفع و لا تضر
 *و إنما هي أسماء فارغة عن المعنى سماها المشركون هم و آباؤهم الجهال الضلال ابتدعوا لها من الأسماء
 الباطلة التي لا تستحقها فخدعوا بها أنفسهم و غيرهم من الضلال
 فالآلهة التي بهذه الحال لا تستحق مثقال ذرة من العبادة

و هذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها
 فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة

*البخارى -4859 عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (اللَّاتُ وَالْعُزَّى) [النجم: 19]

«كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ سَوِيْقَ الْحَاجِّ» و"العزى" من "العزیز" و "مناة" من "المنان"
 *البخارى-4861 سَمِعْتُ عُرْوَةَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ:
 إِنَّمَا كَانَ مَنْ أَهْلَ مَنَاةَ الطَّاعِيَةِ الَّتِي بِالْمُشَلَّلِ لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:- (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: 158]

فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ الْمُسْلِمُونَ "قَالَ سُفْيَانُ: «مَنَاةُ بِالْمُشَلَّلِ مِنْ قُدَيْدٍ»
 وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ:
 «نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا هُمْ وَغَسَّانَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يَهْلُونَ لِمَنَاةَ مِثْلَهُ»
 وَ قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ كَانَ يَهْلُ لِمَنَاةَ -
 وَ مَنَاةَ صَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةِ قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا لَا نَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ تَعْظِيمًا لِمَنَاةَ نَحْوَهُ»
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ:

وَ قَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاعِيَتَ وَ هِيَ بِيُوتُ تَعْظُمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ بِهَا سَدَنَةٌ وَ حُجَابٌ
 وَ تُهْدِي لَهَا كَمَا يَهْدِي لِلْكَعْبَةِ وَ تَطُوفُ بِهَا كَطُوفَاتِهَا بِهَا وَ تَنْحَرُ عِنْدَهَا
 وَ هِيَ تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَسْجِدُهُ.
 فَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَ بَنِي كِنَانَةَ الْعُزَّى بِنَحْلَةٍ وَ كَانَتْ سَدَنَتُهَا وَ حُجَابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ سُلَيْمٍ حُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ
 قُلْتُ: بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَهَدَمَهَا وَ جَعَلَ يَقُولُ:-
 يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ ...
 *مسند أبي يعلى الموصلى 902 - عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ:

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى نَحْلَةٍ وَ كَانَتْ بِهَا الْعُزَّى فَاتَّاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
 وَ كَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ وَ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ
 فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا» فَارْجَعَ خَالِدٌ فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ - وَ هُمْ حُجَابُهَا -
 أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ وَ هُمْ يَقُولُونَ:- يَا عَزَّى حَبْلِيهِ يَا عَزَّى عَوْرِيهِ وَ إِلَّا فَمُوتِي بِرَغْمٍ قَالَ:
 فَاتَّاهَا خَالِدٌ إِذَا امْرَأَةً عُرْيَانَةً نَاشِرَةً شَعْرَهَا تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا ثُمَّ رَجَعَ
 إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ قَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى»

*إلحادا في أسماء الله و تجريا على الشرك به و هذه أسماء متجردة عن المعاني فكل من له أدنى مسكة

(العقل الوافر والزأى) من عقل يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها 20

(**الْكُفْرُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْفُ**)

أى: أتجعلون لله البنات بزعمكم و لكم البنون؟.

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) [الزخرف: 19] **21**

(**تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى**) ظالمة جائرة

* و أى ظلم أعظم من قسمة تقتضى تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا **22**

(**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**) حجة و برهان على صحة مذهبكم

و كل أمر ما أنزل الله به من سلطان فهو باطل فاسد لا يتخذ دينا و هم - فى أنفسهم - ليسوا بمتبعين لبرهان يتيقنون به ما ذهبوا إليه

(**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ**)

و إنما دلهم على قولهم:-

1- **الظن الفاسد**

2- **والجهل الكاسد**

3- **وما تهواه أنفسهم من الشرك و البدع الموافقة لأهويتهم**

و الحال أنه لا موجب لهم يقتضى اتباعهم الظن من فقد العلم و الهدى
 *أى: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِمْ بَابَائِهِمُ الَّذِينَ سَلَكَوا هَذَا الْمَسْلَكَ الْبَاطِلَ قَبْلَهُمْ وَإِلَّا
 ((حَظُّ نَفُوسِهِمْ فِي رِيَاسَتِهِمْ - وَ تَعْظِيمِ آبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ))

و لهذا قال تعالى: (**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**)

الذى يرشدهم في باب التوحيد و النبوة و جميع المطالب التي يحتاج إليها العباد

فكلها قد بينها الله أكمل بيان و أوضحه و أدله على المقصود

- و أقام عليه من الأدلة والبراهين ما يوجب لهم و لغيرهم اتباعه

- فلم يبق لأحد عذر و لا حجة من بعد البيان و البرهان

و إذا كان ما هم عليه غايته اتباع الظن و نهايته الشقاء الأبدى و العذاب السرمدى فالبقاء على هذه الحال من أسفه السفه و أظلم الظلم

* و مع ذلك يتمنون الأمانى و يغترون بأنفسهم **23**

و لهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى و هو كاذب فى ذلك فقال:-

(**أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى**) فيعطى منهما من يشاء و يمنع من يشاء فليس الأمر تابعا لأمانيتهم و لا موافقا لأهوائهم.

*أَيُّ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَمَنَّى خَيْرًا حَصَلَ لَهُ (لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) [النِّسَاءُ: 123]

مَا كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُهْتَدٍ يَكُونُ كَمَا قَالَ وَلَا كُلُّ مَنْ وَدَّ شَيْئًا يَحْصُلُ لَهُ **24**

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى)

إِنَّمَا الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ مَالِكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ الْمُتَصَرِّفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ

يَكُنْ **25**

*يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة و غيرهم و زعم أنها تنفعه و تشفع له عند الله يوم القيامة: -

(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ) من الملائكة المقربين و كرام الملائكة

(لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا) لا تفيد **31** من دعاها و تعلق بها و رجاها

(إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)

أَيُّ: لا بد من اجتماع الشرطين:

1-إِذْنُهُ تَعَالَى فِي الشَّفَاعَةِ

2-وَرْضَاهُ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ.

و من المعلوم المتقرر أنه لا يقبل من العمل:

1-إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ

2-مُوَافِقًا فِيهِ صَاحِبَهُ الشَّرِيعَةَ

فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين و قد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين.

* كَقَوْلِهِ: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: 255] (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبأ: 23]

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عِنْدَ اللَّهِ وَ هُوَ لَمْ يُشْرَعْ عِبَادَتُهَا وَلَا أَذِنَ فِيهَا بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ

وَ أَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ جَمِيعَ كُتُبِهِ **26**

53-سورة النجم-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④
 عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ
 ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ عِنْدَ هَاجِنَةِ الْأَمْوَىٰ ⑮ إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯
 مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ⑲ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ
 ⑳ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ㉑ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ㉒ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ㉓
 أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ㉔ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ㉕ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ㉖

*البخارى -4863 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أَنْزَلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمِ
 قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ سَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ
 فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا وَ هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ

اثبات الوحي 18-1

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)

يقسم تعالى بالنجم عند هويته أى: سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل و إقبال النهار

لأن في ذلك من آيات الله العظيمة ما أوجب أن أقسم به

* و الصحيح أن النجم اسم جنس شامل للنجوم كلها

وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي لأن في ذلك مناسبة عجيبة:-

فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء فكذلك الوحي و آثاره زينة للأرض

فلولا العلم الموروث عن الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم.

* عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) يَعْْنِي: الْقُرْآنُ إِذَا نَزَلَ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا

يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الْوَاقِعَةُ: 75 - 80]

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ)

و المقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه و الغي في قصده

و يلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه هاديا حسن القصد ناصحا للأمة بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم و فساد القصد .

و قال (صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ)

لينبهم على ما يعرفونه منه من الصدق و الهداية و أنه لا يخفى عليهم أمره
 * هَذَا هُوَ الْمُفْسَمُ عَلَيْهِ وَ هُوَ الشَّهَادَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ لَيْسَ بِضَالٍّ وَ هُوَ: الْجَاهِلُ الَّذِي يسلك على غير طريق بغير علم
 وَ الْغَاوِي: هُوَ الْعَالِمُ بِالْحَقِّ الْعَادِلُ عَنْهُ قَصْدًا إِلَى غَيْرِهِ
 * فَتَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ وَ شَرَعَهُ عَنْ مُشَابَهَةِ أَهْلِ الضَّلَالِ كَالنَّصَارَى وَ طَرَائِقِ الْيَهُودِ وَ عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ وَكِتْمَانِهِ وَ الْعَمَلِ بِخِلَافِهِ بَلْ هُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ فِي غَايَةِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ الْإِعْتِدَالِ وَ السَّدَادِ

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه- مَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوَىٰ وَ غَرَضِ

(إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى و التقوى فى نفسه و فى غيره.

و دل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ كما قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [النساء: 113]

و أنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى و عن شرعه: لأن كلامه لا يصدر عن هوى و إنما يصدر عن وحي يوحى.

ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ و هو جبريل عليه السلام أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم

فقال: (عَلَّمَهُ) نزل بالوحي على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام

(شَدِيدُ الْقُوَى) شديد القوة الظاهرة و الباطنة قوى على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه

قوى على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ و منعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه

و هذا من حفظ الله لوحيه أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين.

* (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ 19 ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ 20 مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) [التكوير]

(ذُو مِرْقٍ) قوة و خلق حسن و جمال ظاهر و باطن.

(فَاسْتَوَىٰ) جبريل عليه السلام-الذى ظهر و استوى على صورته الحقيقية للرسول ﷺ فى الأفق الأعلى

(وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى) أفق السماء الذى هو أعلى من الأرض فهو من الأرواح العلوية التي لا تنالها الشياطين

و لا يتمكنون من الوصول إليها.

* الأفق الاعلى: الذى يأتي منه الصبح أو مطلع الشمس

(ثُمَّ دَنَا) جبريل من النبى ﷺ لإيصال الوحي إليه.

(فَدَلَى) عليه من الأفق الأعلى

(فَكَانَ) في قربه منه

(قَابَ قَوْسَيْنِ)

قدر قوسين و القوس (آلة على هيئة هلال تُرمى بها السهام)-أو قدر ما بين الوتر والقوس أو ما بين طرفي القوس

(أَوْ أَدْنَى)

أقرب من القوسين و هذا يدل على كمال المباشرة للرسول ﷺ بالرسالة و أنه لا واسطة بينه وبين جبريل ﷺ
و قَوْلُهُ: (أَوْ أَدْنَى) قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الصَّيْغَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ لِإِثْبَاتِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ وَ نَفْيِ مَا زَادَ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ:-

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة: 74]

أَيُّ: مَا هِيَ بِالَّتَيْنِ مِنَ الْحِجَارَةِ بَلْ هِيَ مِثْلُهَا أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِي الشَّدَّةِ وَ الْقَسْوَةِ.

وَ كَذَا قَوْلُهُ: (يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء: 77]

وَ قَوْلُهُ: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات: 147]

أَيُّ: لَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ حَقِيقَةً أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا.

فَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ لَا شَكَّ وَ لَا تَرَدُّدٌ فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ هَاهُنَا وَ هَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى).

وَ هَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ هَذَا الْمُقْتَرَبَ الدَّانِي الَّذِي صَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ﷺ هُوَ قَوْلُ
أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَآبِي ذَرٍّ وَآبِي هُرَيْرَةَ كَمَا سَنُورِدُ أَحَادِيثَهُمْ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

*البخارى -3232 عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِي قَالَ:- سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم: 10] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ

(فَأَوْحَى) الله بواسطة جبريل ﷺ

(إِلَى عَبْدِهِ) محمد ﷺ

(مَا أَوْحَى) أى: الذى أوحاه إليه من الشرع العظيم والنبا المستقيم.

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

اتفق فؤاد الرسول ﷺ و رؤيته على الوحي الذى أوحاه الله إليه و تواطأ عليه سمعه و قلبه و بصره
و هذا دليل على كمال الوحي الذى أوحاه الله إليه و أنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه و لا شبهة و لا ريب
فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره لم يشك بذلك.

و يحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة أُسْري به من آيات الله العظيمة و أنه تيقنه حقا بقلبه و رؤيته

هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة

و قيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء و تكليمه إياه

و هذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله فأثبتوا بهذا رؤية الرسول لربه في الدنيا و لكن الصحيح القول الأول و أن المراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه السياق

و أن **محمدًا** عليه السلام رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين:-

1-مرة في الأفق الأعلى تحت السماء الدنيا كما تقدم

2-و المرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسرى برسول الله

(**أَفْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**) أتكذبون محمدًا عليه السلام فتجادلونه على ما يراه و يشاهده من آيات ربه؟

و لهذا قال: (**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**) رأى محمد جبريل مرة أخرى نازلاً إليه.

المرة الاولى:-

*البخاري 4925- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ عليه السلام وَ هُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ:-

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ رُعبًا

المرة الثانية:-

مسلم 177- فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عَظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»

-من اوصافه:-

*البخاري 3233- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم: 18] قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ»

*البخاري 3234- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ

و لَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَ خَلْقُهُ سَادُّ مَا بَيْنَ الْأَفْقِ»

*مسلم 178- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:- سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»

(و معناه حجاب النور فكيف أراه ؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار و منعها من إدراك ما حالت بين الراى وبينه)

*مسلم 176- عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) [النجم: 11]

(**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**) [النجم: 13] قَالَ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»

*مسلم 178- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:

عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»

(**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**)

و هي شجرة عظيمة جدا فوق السماء السابعة

سميت سدرة المنتهى: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض و لا ينزل إليها ما ينزل من الله من الوحي وغيره

أو لانتهاه علم الخلق إليها

أي: لكونها فوق السماوات و الأرض فهي المنتهى في علوها أو لغير ذلك والله أعلم.

فرأى محمد ﷺ جبريل في ذلك المكان الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة عند تلك الشجرة

(عندما جنة المأوى)

الجنة الجامعة لكل نعيم بحيث كانت محلا تنتهي إليه الأماني و ترغب فيه الإرادات و تأوى إليها الرغبات و هذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن و فوق السماء السابعة.

(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) يغشاها من أمر الله شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ) ما زاغ يمنة و لا يسرة عن مقصوده

(وَمَا طَغَى) و ما تجاوز البصر

و هذا كمال الأدب منه صلوات الله و سلامه عليه أن قام مقاما أقامه الله فيه و لم يقصر عنه و لا تجاوزه و لا حاد عنه و هذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم الذي فاق فيه الأولين و الآخرين

فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور:

1- إما أن لا يقوم العبد بما أمر به أو يقوم به على وجه التفريط أو على وجه الإفراط

2- أو على وجه الحيدة يمينا و شمالا و هذه الأمور كلها منتفية عنه.

◀ الأدب العظيم

سمعتُ أستاذي يومًا وهي تفسر قول الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(١)، واستشعرت مع حديثها كيف كان رسول الله ﷺ وهو في رحلته في السماء مع جبريل غاضًا لبصره عن فضول النظر، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم منه عليه الصلاة والسلام، حتى مدحه الله بها في الآية، وأصبحت هذه الآية كلما تذكرتها طريقًا لي بأن أترك فضول النظر أينما كنت وحيثما ذهبت!

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) من الجنة والنار هَوْلُهُ: (لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا) [طه: 23]

أي: الدالة على قُدْرَتِنَا وَعَظَمَتِنَا.

وَبِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْتَدَلَّ مَنْ ذَهَبَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الرُّؤْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَمْ تَقَعْ لِأَنَّهُ قَالَ: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)

وَلَوْ كَانَ رَأَى رَبَّهُ لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَلَقَالَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ "سُبْحَانَ" و غير ذلك من الأمور التي رآها ليلة أسرى به.

*وَتَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُثْبِتُ الرُّؤْيَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَيَسْتَشْهَدُ بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَتَابَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَقَدْ خَالَفَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ.

*البخاري -4855 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ :

- 1- مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ:
(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103]
(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [الشورى: 51].
- 2- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ:
(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا) [لقمان: 34].

- 3- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ:
(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) [المائدة: 67] الْآيَةَ
وَ لِكَتَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»
وَ قَوْلُهُ: (وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) ()

صحيح مسلم - 177

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: -
يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟
قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ
قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ
فَقُلْتُ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَ لَا تُعْجِلِينِي
أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) [التكوير: 23]

(وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى) [النجم: 13]؟

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ
رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»
فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: 103]

صحيح مسلم - 178

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ
لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:

(قف شعري) قام من الفزع والخوف من هيبة الله عز وجل.
(أين أنت) أين فهمك.
(من ثلاث) من استحضر ثلاثة أشياء ينبغي أن لا تغيب عنك.
(لا تدركه) لا تحيط به وفهمت عائشة رضي الله عنها من هذا نفي الرؤية
(وحيا) بأن يلقي في روعه - نفسه - أو رؤيا في المنام ورؤيا الأنبياء حق.
(من وراء حجاب) أي يكلمه من غير واسطة بحيث يسمع كلامه ولا يراه
(تكسب غدا) ما يقع منها ولها في اليوم الذي يلي يومها أو في مستقبل الزمان

عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟
قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟
قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ
فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»

صحيح مسلم

(173) عَنْ طَلْحَةَ عَنْ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا
وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»

قَالَ: " (إِذْ يَغْشَى) [النجم: 16] السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى "

قَالَ: «فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ»

قَالَ: " فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا:

أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ

وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

وَعَفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتِ ()

أَفْرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

أَفْرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ

لما ذكر تعالى ما جاء به محمد ﷺ من الهدى و دين الحقو الأمر بعبادة الله

و توحيده

مناقشة عبدة الاصنام 19-30

ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء

و لا تنفع ولا تضر وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى

سماها المشركون هم و آباؤهم الجهال الضلال

ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها

فخدعوا بها أنفسهم و غيرهم من الضلال

(فراش من ذهب) الفراش دويبة ذات جناحين تتهاافت في ضوء السراج واحدها فراشه

(المقحّمات) معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحّمهم إياها والتقحّم الوقوع في المهالك ومعنى

الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحّمات]

فالآلهة التي بهذه الحال لا تستحق مثقال ذرة من العبادة

و هذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء

زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها

فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة

*** صحيح البخاري -4859

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: (اللَّاتُ وَالْعُزَّى) [النجم: 19]

«كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ سَوِيْقَ الْحَاجِّ»

و"العزى" من "العزیز"

و "مناة" من "المنان"

*** صحيح البخاري-4861

سَمِعْتُ عُرْوَةَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ:

"إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ مَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي بِالْمُشَلَّلِ

لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: 158]

فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ "

قَالَ سُفْيَانُ: «مَنَاةٌ بِالْمُشَلَّلِ مِنْ قَدِيدٍ»

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ:

«نَزَلْتُ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا هُمْ وَغَسَّانُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةَ مِثْلَهُ»

و قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ

كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ كَانَ يَهْلُ لِمَنَاةَ - وَمَنَاةٌ صَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ

قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا لَا نَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ تَعْظِيمًا لِمَنَاةَ نَحْوَهُ»

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السُّرَةِ:

و قَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاعِيتَ

و هِيَ بَيُوتٌ تَعْظُمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ بِهَا سَدَنَةٌ وَ حُجَابٌ

و تُهْدِي لَهَا كَمَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ

و تَطُوفُ بِهَا كَطَوَافِهَا بِهَا

و تَنْحَرُ عِنْدَهَا

و هِيَ تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَسْجِدُهُ.

فَكَانَتْ لِقَرِيْشٍ وَ بَنِي كِنَانَةَ الْعُزَّى بِنَخْلَةٍ

وَ كَانَتْ سَدَنَتُهَا وَ حُجَابُهَا) بَنِي شَيْبَانَ مِنْ سُلَيْمٍ حُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ

قُلْتُ: بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَهَدَمَهَا وَ جَعَلَ يَقُولُ:

يَا عَزَّ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ ...

مسند أبي يعلى الموصلي

902 - عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ:

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ
وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى فَأَتَاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

وَكَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ

فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا

ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ

فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»

فَرَجَعَ خَالِدٌ فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ - وَهُمْ حُجَّابُهَا -

أَمَعْنُوا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ:-

يَا عُزَّى خَبْلِيهِ يَا عُزَّى عَوْرِيهِ وَإِلَّا فَمَوْتِي بِرَغَمٍ

قَالَ: فَأَتَاهَا خَالِدٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا

فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

فَأَخْبَرَهُ قَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى» ()

○ إلحادا في أسماء الله و تجريا على الشرك به

وهذه أسماء متجردة عن المعاني

فكل من له أدنى مسكة (□) من عقل

يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.

(الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى)

أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم و لكم البنون؟.

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) [الزخرف19]

(تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى)

أي: ظالمة جائرة وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا

كبيرا .

و قوله:

(إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)

أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم

و كل أمر ما أنزل الله به من سلطان فهو باطل فاسد لا يتخذ دينا

و هم - في أنفسهم - ليسوا بمتبعين لبرهان يتيقنون به ما ذهبوا إليه

(لَنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)

وإنما دلهم على قولهم:

1- الظن الفاسد

2- والجهل الكاسد

3- وما تهووا أنفسهم من الشرك و البدع الموافقة لأهويتهم

و الحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن من فقد العلم و الهدى

*** أي: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ سَلَكَوا هَذَا الْمَسْلَكَ الْبَاطِلَ قَبْلَهُمْ
وَ إِلَّا ((حَظُّ نَفْسِهِمْ فِي رِيَاسَتِهِمْ - وَتَعْظِيمِ آبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ))

ولهذا قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)

-أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد و النبوة

و جميع المطالب التي يحتاج إليها العباد

فكلها قد بينها الله أكمل بيان و أوضحه و أدله على المقصود

-و أقام عليه من الأدلة والبراهين ما يوجب لهم و لغيرهم اتباعه

- فلم يبق لأحد عذر و لا حجة من بعد البيان و البرهان

و إذا كان ما هم عليه غايته اتباع الظن و نهايته الشقاء الأبدي و العذاب السرمدى فالبقاء على هذه الحال من

أسفه السفه و أظلم الظلم

و مع ذلك يتمنون الأمانى ويغترون بأنفسهم.

و لهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى و هو كاذب في ذلك

فقال: (أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى)

فيعطي منهما من يشاء

و يمنع من يشاء فليس الأمر تابعاً لأمانيتهم و لا موافقاً لأهوائهم.

*** أي: لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَمَنَّى خَيْرًا حَصَلَ لَهُ

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ)

[النساء: 123]

مَا كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُهْتَدٍ يَكُونُ كَمَا قَالَ

و لَا كُلُّ مَنْ وَدَّ شَيْئًا يَحْصُلُ لَهُ.

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى)

أَيُّ: إِنَّمَا الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ مَالِكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ الْمُتَصَرِّفِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ هُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

❖ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلَّا مِّنْ بَعْدٍ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٦٦﴾

يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة و غيرهم
و زعم أنها تنفعه و تشفع له عند الله يوم القيامة:

(وَ كَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ)

من الملائكة المقربين و كرام الملائكة

(لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا)

أي: لا تفيد من دعاها و تعلق بها و رجاها

(إِلَّا مِّنْ بَعْدٍ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى)

أي: لا بد من اجتماع الشرطين:

1-إذنه تعالى في الشفاعة

2-و رضاه عن المشفوع له.

ومن المعلوم المتقرر أنه لا يقبل من العمل:

1-إلا ما كان خالصا لوجه الله

2-موافقا فيه صاحبه الشريعة

فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين

و قد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين.

*** كَهَوْلِهِ: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: 255]

(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبأ: 23]

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ

فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عِنْدَ اللَّهِ

وَهُوَ لَمْ يُشْرَعْ عِبَادَتَهَا وَلَا أَذِنَ فِيهَا

بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ

وَأَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ جَمِيعَ كُتُبِهِ؟.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾
أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾
أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزِّلُ وَزْرًا نَّخْرَىٰ ﴿٣٨﴾
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾
وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ)

يعنى أن المشركين بالله المكذبين لرسوله الذين لا يؤمنون بالآخرة و بسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما
تجرأوا عليه من الأقوال و الأفعال المحادة لله و لرسوله من قولهم: " الملائكة بنات الله "
فلم ينزهوا ربهم عن الولادة و لم يكرموا الملائكة و يجلوهم عن تسميتهم إياهم إننا 27

(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ)

و الحال أنه ليس لهم بذلك علم لا عن الله و لا عن رسوله و لا دلت على ذلك الفطر و العقول
بل العلم كله دال على نقيض قولهم و أن الله منزّه عن الأولاد و الصاحبة: لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد
(الذى لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد)

و أن الملائكة كرام مقربون إلى الله قائمون بخدمته (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم: 6]
و المشركون إنما يتبعون فى ذلك القول القبيح و هو: -الظن

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) و الخرص و الكذب

*البخارى -5143 عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَأْتُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«إِيَّاكُمْ وَ الظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا تَحَسَّسُوا وَ لَا تَبَاغَضُوا وَ كُونُوا إِخْوَانًا

(وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ﴿٢٨﴾

* ولما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق

* وإنما غرضهم و مقصودهم ما تهواه نفوسهم: أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره فقال

(فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا) هو الذكر الحكيم و القرآن العظيم و النبأ الكريم فأعرض عن العلوم النافعة

(وَلَمْ يَرْدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

فهذا منتهى إرادته و من المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده فسعيهم مقصور على الدنيا و لذاتها

و شهواتها كيف حصلت حصلوها و بأى: طريق سنحت ابتدروها 29

(ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى: هذا منتهى علمهم و غايته

* و أما المؤمنون بالآخرة المصدقون بها أولو الأبواب و العقول فهمتهم و إرادتهم للدار الآخرة و علومهم أفضل

العلوم و أجلها و هو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ و الله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه

ممن لا يستحق ذلك فيكله إلى نفسه و يخذله فيضل عن سبيل الله و لهذا قال تعالى:-

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) فيضع فضله حيث يعلم المحل اللائق به 30

جزاء المسيئين و المحسنين و اوصافهم 31-32

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

يخبر تعالى أنه مالك الملك المتفرد بملك الدنيا و الآخرة و أن جميع من في السماوات و الأرض ملك لله

يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم في عبيده و ممالكه ينفذ فيهم قدره و يجرى عليهم شرعه

و يأمرهم و ينهاهم و يجزيهم على ما أمرهم به و نهاهم عنه فيثيب المطيع و يعاقب العاصي

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا) من العمل السيء من الكفر فما دونه بما عملوا من أعمال الشر بالعقوبة البليغة

(وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) في عبادة الله تعالى و أحسنوا إلى خلق الله بأنواع المنافع

(بِالْحُسْنَى) بالحالة الحسنة في الدنيا و الآخرة و أكبر ذلك و أجله رضا ربهم و الفوز بنعيم الجنة ﴿٣١﴾

* ثم ذكر وصفهم فقال:-

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ) يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات التى يكون تركها من كبائر الذنوب

الاثم: و هو كل ذنب وضع له حد أو لعن فاعله أو توعده عليه بالعذاب في الآخرة.

(و) يتركون (وَالْفَوَاحِشَ)

المحرمات الكبار الذنوب القبيحة كالزنا و اللواط و قذف المحصنات و البخل و شرب الخمر و أكل الربا

و القتل و نحو ذلك من الذنوب العظيمة

(إِلَّا اللَّهُ) صغائر الذنوب التي تكفر باجتناب كبائرهما التي لا يصر صاحبها عليها أو التي يلم بها العبد المرة بعد المرة على وجه الندرة و القلة

*فهذه ليس مجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين

فإن هذه مع الإتيان بالواجبات و ترك المحرمات تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء

و لهذا قال النبي في *مسلم - 233 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:-

الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ

*أي لا يتعاطون المحرمات و الكبائر و إن وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم و يستر عليهم كقوله

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: 31]

*البخارى 6243 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ (ما يلم به الشخص من شهوات النفس و هي الذنوب الصغيرة)

مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-

«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ (نصيبه) مِنَ الزَّانَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ (لا حيلة له ولا خلاص من الوقوع فيما كتب عليه وقدر له)

فَزَنَا الْعَيْنِ النَّظْرُ (إلى العورات والنساء الأجنبية) وَ زَنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ (النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور)

وَ النَّفْسُ مَمْنَى (تسول لصاحبها و تحركه) وَ تَشْتَهَى وَ الْفَرْجُ (الذي هو آلة الزنا الحقيقي) يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ (بفعل ما تمتهت النفس)

وَ يُكَذِّبُهُ» (بالتك و البعد عن الفواحش و مقدماتها)

و لهذا قال: (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)

فلولا مغفرته لهلكت البلاد و العباد و لولا عفوه و حلمه لسقطت السماء على الأرض و لما ترك على ظهرها من دابة.

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: 53]

(هُوَ أَعْلَمُ) (بَصِيرٌ) (بِكُرِّ) عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَ أَفْعَالِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمْ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْكُمْ وَ تَقَعُ مِنْكُمْ

*و الضعف موجود مشاهد منكم (إِذَا أَنْشَأَكُمْ) حِينَ أَنْشَأَ آبَاكُمْ آدَمَ

(مِنْ الْأَرْضِ) وَ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ثُمَّ قَسَمَهُمْ فَرِيقَيْنِ:- فَرِيقًا لِلْجَنَّةِ وَ فَرِيقًا لِلسَّعِيرِ .

*هو تعالى:-

1-أعلم بأحوالكم كلها

2-و ما جبلكم عليه من الضعف و الخور عن كثير مما أمركم الله به

3-و من كثرة الدواعي إلى بعض المحرمات و كثرة الجواذب إليها و عدم الموانع القوية

(وَإِذْ أَنْتُمْ آجِنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)

*قَدْ كَتَبَ الْمَلِكُ الَّذِي يُوَكَّلُ بِهِ رِزْقَهُ وَ أَجَلَهُ وَ عَمَلَهُ وَ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ

*و لم يزل الضعف موجودا فيكم و إن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به

و لكن الضعف لم يزل فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه ناسبت الحكمة الإلهية و الجود الرباني أن يتغمدكم برحمته و مغفرته و عفوه و يغمركم بإحسانه و يزيل عنكم الجرائم و المآثم خصوصا إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات و سعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآتات و فراره من الذنوب التي يتمقت بها عند مولاه ثم تقع منه الفلته بعد الفلته

*فإن الله تعالى أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها
*فلا بد لمثل هذا أن يكون من مغفرة ربه قريبا و أن يكون الله له في جميع أحواله مجيبا
و لهذا قال تعالى: **(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ)** تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح كقوله

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 49]

(لَا تُحَسِّبَنَّ الَّذِينَ يُفَرِّحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [آل عمران]
*مسلم -2142 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ حَدَّثَنِي زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ اسْمِي بَرَّةَ فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ قَالَتْ: وَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَ اسْمُهَا بَرَّةُ فَسَمَّاهَا زَيْنَبُ "
*البخارى 2662- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَنِي (مدح) رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ (الويل الحزن والهلاك ويستعمل بمعنى التفجع والتعجب) قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ

(تسببت بهلاكه لأنه ربما أخذه العجب بسبب مدحك له)» مِرَارًا (كرر قوله مرات)

ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ (أظن) فَلَانًا وَ اللَّهُ حَسِيبُهُ وَ لَا أُرِزِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا (لا أقطع له ولا أجزم على عاقبة أحد بخير أو غيره) أَحْسِبُهُ كَذَا وَ كَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»

*مسلم-3002 عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُنْبِئِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَ قَالَ: «أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ»

(هذا الحديث قد حمله على ظاهره المقداد الذي هو راويه ووافقه طائفة و كانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة و قال آخرون معناه خيبتهم فلا تعطوهم شيئا لمدحهم)

(هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) فإن التقوى محلها القلب

و الله هو المطلع عليه المجازى على ما فيه من بر و تقوى و أما الناس فلا يغنون عنكم من الله شيئا (٣٣)

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) قبح حالة من أمر بعبادة ربه و توحيده فتولى عن ذلك و أعرض عنه؟ (٣٣)

توبيخ لابن المغيرة 33-41

(وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) قل خيره

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء القليل فإنه لا يستمر عليه بل ييخل و يكدى و يمنع.

فإن المعروف ليس سجية له و طبيعة بل طبعه التولى عن الطاعة و عدم الثبوت على فعل المعروف

و مع هذا فهو يزكى نفسه و ينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها.

*قَالَ عِكْرِمَةُ وَ سَعِيدٌ: كَمَثَلِ الْقَوْمِ إِذَا كَانُوا يَحْفَرُونَ بَثْرًا فَيَجِدُونَ فِي أَثْنَاءِ الْحَفْرِ صَخْرَةً تَمْنَعُهُمْ مِنْ مَّامِ الْعَمَلِ فَيَقُولُونَ: "أَكْدَيْنَا" وَ يَتَزَكُّونَ الْعَمَلِ (٣٤)

(أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) الغيب و يخبر به أم هو متقول على الله متجرئ على الجمع بين الإساءة و التزكية كما هو الواقع لأنه قد علم أنه ليس عنده علم من الغيب و أنه لو قدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد النبي المعصوم تدل على نقيض قوله و ذلك دليل على بطلانه.

* أَعِنْدَ هَذَا الَّذِي قَدْ أَمْسَكَ يَدَهُ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ وَ قَطَعَ مَعْرُوفَهُ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ أَنَّهُ سَيَنْقُذُ مَا فِي يَدِهِ حَتَّى قَدْ أَمْسَكَ عَنْ مَعْرُوفِهِ فَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عَيَانًا؟! أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَنِ الصَّدَقَةِ وَ الْمَعْرُوفِ وَ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ بِخُلَا وَ شَحًّا وَ هَلَعًا

كقوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبا: 39] ﴿٣٥﴾

(أَمْ لَمْ يَبْتَأْ) هذا المدعى (بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) ﴿٣٦﴾ (وَابْتَرَاهِمَ الَّذِي وَفَّى)

قام بجميع ما ابتلاه الله به و أمره به من الشرائع و أصول الدين و فروعه

* كقوله (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) [البقرة: 124] ﴿٣٧﴾

و ففى تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: -

(أَلَا نَزَرُ) لا تحمل (وَارِزُّهُ) نفس مذنبه (وَزَرَ أُخْرَى) ذنب غيرها

أى: كل عامل له عمله الحسن و السيئ فليس له من عمل غيره و سعيهم شىء و لا يتحمل أحد عن أحد ذنبا

* كقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18] 38

(وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

كَمَا لَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ وَزْرُ غَيْرِهِ كَذَلِكَ لَا يُحْصَلُ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ.

* و من و هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله و من اتبعه:-

أَنَّ الْقِرَاءَةَ لَا يَصِلُ إِهْدَاءُ ثَوَابِهَا إِلَى الْمَوْتَى لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلِهِمْ وَ لَا كَسْبِهِمْ

وَ لِهَذَا لَمْ يَنْدُبْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَهُ وَ لَا حَتَّهْمُ عَلَيْهِ وَ لَا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِنَصٍّ وَ لَا إِمَاءٍ وَ لَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ

عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ وَ بَابُ الْقُرْبَاتِ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى النُّصُوصِ وَ لَا يُتَصَرَّفُ فِيهِ بِأَنْوَاعِ الْأَقْيَسَةِ وَالْآرَاءِ

* فَأَمَّا الدُّعَاءُ وَ الصَّدَقَةُ فَذَاكَ مُجْمَعٌ عَلَى وَصُولِهِمَا وَ مَنْصُوصٌ مِنَ الشَّارِعِ عَلَيْهِمَا.

وَ أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ -1631 فِي صَحِيحِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ:

مِنْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ "

فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ مِنْ سَعْيِهِ وَ كَدِّهِ وَ عَمَلِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (صحيح) في ابى داود 3528:-

"إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَ إِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ .

وَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ كَالْوَقْفِ وَ نَحْوِهِ هِيَ مِنْ آثَارِ عَمَلِهِ وَ وَفِّهِ

وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ) الآية [يس: 12]

وَ الْعِلْمُ الَّذِي نَشَرَهُ فِي النَّاسِ فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ بَعْدَهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ سَعْيِهِ وَ عَمَلِهِ

و ثَبَّتَ فِي مُسْلِمٍ 2674:- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

مَنْ دَعَا إِلَى هَدْيٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا 39

(وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) في الآخرة فيميز حسنه من سيئه

كقوله (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [التوبة: 105])

فيخبركم به و يجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيرا فخير و إن شرا فشر 40

(ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى) الأفر-المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى و السيئ الخالص بالسوآى

و المشوب بحسبه جزاء تقرر بعدله و إحسانه الخليقة كلها و تحمد الله عليه

*حتى إن أهل النار ليدخلون النار و إن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم و الإقرار له بكمال الحكمة و مقت

أنفسهم و أنهم الذين أوصلوا أنفسهم و أوردوها شر الموارد

و قد استدل بقوله تعالى:- (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء و لا للأموات قالوا لأن الله قال: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

فوصول سعى غيره إليه مناف لذلك

و فى هذا الاستدلال نظر فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه و هذا حق لا خلاف فيه

و ليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعى غيره إذا أهداه ذلك الغير له

كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو فى ملكه و تحت يده و لا يلزم من ذلك أن لا يملك ما وهبه له الغير

من ماله الذي يملكه 41

الله هو المتصرف 42-62

(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)

إليه تنتهى الأمور و إليه تصير الأشياء و الخلائق بالبعث و النشور و إلى الله المنتهى فى كل حال

فإليه ينتهي العلم و الحكم و الرحمة و سائر الكمالات.

*المعاد الى يوم القيامة 42

(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) هو الذى أوجد أسباب الضحك و البكاء فى عباده

و هو الخير و الشر و الفرح و السرور و الهم و الحزن و هو سبحانه له الحكمة البالغة فى ذلك 43

(وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا)

أى: هو المنفرد بالإيجاد و الإعدام و الذى أوجد الخلق و أمرهم و نهاهم سيعيدهم بعد موتهم و يجازيهم بتلك

الأعمال التى عملوها فى دار الدنيا.

*كقوله (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُوفُ) [الملك: 2] 44

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى ﴿٤٧﴾

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾

وَتَمُودًا إِذْ بَقِيَ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾

وَالْمُؤَنَّفَكَةَ هَوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَاهَا مَا عَشَىٰ ﴿٥٤﴾ فَبَآئِيَ آلَ رَيْكَ نَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَافِقَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

أَفِئ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

54- سورة القمر- مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ

﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿٦﴾

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ) فسر الزوجين بقوله: (الذَّكَرُ وَالْأُنثَى)

و هذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات ناطقها و بهيمها فهو المنفرد بخلقها 45

(مِن نُّطْفَةٍ) و هذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته و انفراده بالعزة العظيمة حيث أوجد تلك الحيوانات صغيرها

و كبيرها من نطفة ضعيفة من ماء مهين ثم نماها و كملها حتى بلغت ما بلغت

ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين و إما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين

(إِذَا تُمْنَى) تصب في الرحم 46

* و لهذا استدل بالبداة على الإعادة فقال:-(وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى)

فيعيد العباد من الأجداث و يجمعهم ليوم الميقات و يجازيهم على الحسنات و السيئات 47

(وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى) العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات و أنواع المكاسب من الحرف و غيرها

(وَأَقْنَى) أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها ما يصيرون به مقتنين لها و مالكين لكثير من الأعيان

و هذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى

* و هذا يوجب للعباد أن يشكروه و يعبدوه وحده لا شريك له 48

(وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى) النجم المعروف بالشعري العبور المسماة بالمرزم

*يقال له (مِرْزَمَ الجوزاء) كانت طائفة من العرب يعبدونه

و خصها الله بالذكر و إن كان رب كل شيء لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية

فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق فكيف تتخذ إلها مع الله

*جاء في موقع الاعجاز العلمي:-الشعري هو نجم الشعري اليمانية (سَيروس Sirius)

و هو النجم الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم بخلاف الشمس و هو واحد من أقرب و ألمع



النجوم إلينا. يبلغ بريقها 25 ضعف بريق الشمس.

و أثبتت الدراسات الفلكية بأن هذا النجم كان معروفاً

في فترة العصر الحجري المتأخر لعدد من سكان الأرض

و أنه كانت له قدسية خاصة عندهم.

فسكان نبتة القدماء في المنطقة الواقعة في منتصف ما بين أبو سمبل و شرق العوينات في جنوب غرب مصر

كانوا قد أقاموا صف من الأحجار على هيئة أعمدة على خط مستقيم للاتجاه الذي سيشرق منه نجم

الشعري يوم الانقلاب الصيفي و هو بداية الصيف و هبوط الرياح الموسمية الصيفية المحملة بالأمطار

لتحليل الصحارى الجافة لمراعى خصبة يملؤها العشب و الكلاً للبقر و تملئ الأحواض الجافة

و تصير برك و مستنقعات ... كانت هذه المنطقة منطقة سافانا في عصر الهولوسين المطير ...

و كان لبداية الصيف قدسيته و للشعري قدسيته الكبرى في ذلك اليوم و غيره و ذلك منذ 4800 عام قبل

الميلاد.

و نظراً لأن الزراعة في مصر كانت معتمدة على الري من النيل فإن التنبؤ بميعاد فيضان النيل كان هو أهم

ما يجب عمله اتقاء لشره إذا كان فيضاناً عارماً و ذلك بترميم الجسور وتحسباً له إذا جاء الفيضان خفيفاً

غير وافي لأن ذلك معناه المجاعة بكل أبعادها المخيفة

و لقد لاحظ قدماء المصريين بأن بداية فيضان النيل مرتبطة بشروق الشمس من اتجاه النجم سيروس

(الشعري اليمانية) و هو ما يسمى فلكياً بظاهرة الاحتراق الشروقي للنجم سيروس وكان هذا يحدث في

صيف كل عام.

كان للنجم سيروس قداسته عند قدماء المصريين لارتباطه بفيضان النيل لذلك أسموه 'نجم إيزيس' لارتباط

دموع إيزيس زوجة أوزيريس بفيضان النيل عندما حزنت عليه بعد مقتله على أخيه ست حسب الأسطورة

المصرية القديمة. وكان هذا النجم هو قرين للملكات في مصر القديمة في السماء لذلك فإن ما يسمى بفتحة

التهوية في الهرم الأكبر الممتد من حجرة الملكة إلى اتجاه الجنوب ما هو إلا فتحة لكي تطل منها الملكة في

مرقدها على قرينها في السماء سيروس عند مروره على دائرة الزوال لذلك فإن هذه ليست فتحات تهوية

بل هي مناظير مزوالية ثابتة متجهة لنجوم معينة في السماء حسب علم الفلك الحديث.

ونظراً للمكانة الكبيرة لنجم الشعري اليمانية (سيروس) وقدسيته عند الشعوب القديمة جاء قول الله تعالى

ليؤكد (وإنه هو رب الشعري) ولا سجود لغيره 49

(وَأَنذَرْتُكُمْ عَادَ الْأُولَى) و هم قوم هود عليه السلام حين كذبوا هوداً فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية

* و يقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح 50

(وَنُوحًا) قوم صالح عليه السلام أرسله الله إلى ثمود فكذبوه فبعث الله إليهم الناقة آية فعقروها و كذبوه فأهلكهم الله

(مَا أَتَى) منهم أحدا بل أهلكهم الله عن آخرهم 51

(وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى) من هؤلاء الأمم فأهلكهم الله و أغرقهم فى اليم 52

(وَالْمُؤَنَفَكَةَ) و هم قوم لوط عليه السلام

(أَهْوَى)

أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحدا من العالمين قلب أسفل ديارهم أعلاها و أمطر عليهم حجارة من سجيل

منضود 53

و لهذا قال: (فَغَشَّاهَا) غشيها من العذاب الأليم الوحيم

(مَا غَشَى) أى: شىء عظيم لا يمكن وصفه.

*كقوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ) [الشعراء: 173] (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ) [النمل: 58] 54

(فِي آيَةِ الْآلَاءِ رَيْكَ) نعم الله و فضله (تَمَارَى) تشك أيها الإنسان؟

فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى و لا يدفع النقم إلا هو 55

(هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى)

هذا الرسول القرشى الهاشمى محمد بن عبد الله ليس ببدع من الرسل بل قد تقدمه من الرسل السابقين و دعوا

إلى ما دعا إليه فلاى شىء تنكر رسالته؟

و بأى حجة تبطل دعوته؟

أليست أخلاقه أعلا أخلاق الرسل الكرام

أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟

ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؟

ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟

فما الذى يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد المرسلين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين؟

*كقوله (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الأحقاف: 9]

فإن النذير هو: الحذر لما يعاين من الشر الذى يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ

أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ وَمَا تَنْفَكُوا عَنْهُ إِنَّكُمْ تُجِزُونَ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: 46]

*البخارى -6482 عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ (عسكر العدو مغيرا) بَعِثَنِي وَ إِيَّيْ أَنَا النَّذِيرُ

الْعُرْيَانُ (الذى تجرد من ثوبه ورفع يده إعلاما لقومه بالغارة عليهم ضرب به النبي ﷺ المثل لأمته لأنه تجرد لإندارهم)

فَالنَّجَا النَّجَاءَ (انجوا بأنفسكم وأسرعوا بالهرب) فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا (من الإدلاج وهو السير في الليل أو أوله) عَلَى مَهْلِهِمْ (تأنيتهم وسكينتهم) فَتَجَوَّأُوا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ (أتاهم صباحا أي بغتة) الْجَيْشُ فَاجْتَا حَهُمْ (استأصلهم وأهلكهم)"

(قال بن كثير: أَي: الَّذِي أَعْجَلَهُ شِدَّةُ مَا عَايَنَ مِنَ الشَّرِّ عَنْ أَنْ يَلْبَسَ عَلَيْهِ شَيْئًا، بَلْ بَادَرَ إِلَى إِنْذَارِ قَوْمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ غُرْبَانَا مُسْرِعًا مُنَاسِبًا لِقَوْلِهِ: {أَزَفَتِ الْأَزْفَةُ})

أَي: اقْتَرَبَتِ الْقَرِيبَةُ، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} [القمر: 1] 56

(أَزَفَتِ) قربت

(الْأَزْفَةُ) القيامة و دنا وقتها و بانت علاماته 57

إذا أتت القيامة و جاءهم العذاب الموعود به (لَيْسَ لَهُمْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) تكشف الستار عنها و تظهرها

*بل تبقى مستورة لحكمة إلهية قد تفاجأ بها البشرية 58

*ثم تواعد المنكرين لرسالة الرسول محمد ﷺ المكذبين لما جاء به من القرآن الكريم فقال:-

(أَفَإِنْ هَذَا الْحَدِيثُ) الذى هو خير الكلام و أفضله و أشرفه (تَعَجُّبُونَ) منه ؟

و تجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور و الحقائق المعروفة؟

هذا من جهلهم وضلالهم و عنادهم و إلا فهو الحديث الذى إذا حدث صدق

و إذا قال قولاً فهو القول الفصل الذى ليس بالهزل و هو القرآن العظيم الذى لو أنزل على جبل لرأيت حاشعاً

متصدعاً من خشية الله الذى يزيد ذوى الأحلام رأياً و عقلاً و تسديداً و ثباتاً و إيماناً و يقيناً

و الذى ينبغى العجب من عقل من تعجب منه و سفهه و ضلاله 59

(وَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ)

تستعملون الضحك و الاستهزاء به مع أن الذى ينبغى أن تتأثر منه النفوس و تلين له القلوب و تبكى له العيون

سماعاً لأمره و نهيه و إصغاء لوعده و وعيده و التفاتاً لأخباره الحسنة الصادقة

*يبيكون كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ

يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا 107 وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعًا 108 وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء: 60]

(وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ) غافلون عنه لاهون عن تدبره -

قيل المراد به الغناء

و قيل معرضون و قيل غافلون

*و هذا من قلة عقولكم و أديانكم فلو عبدتم الله و طلبتم رضاه فى جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التى

يأنف منها أولو الأبواب

*تفسير القاسمى:- عن ابن عباس:- هو الغناء: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا و لعبوا

و هى لغة أهل اليمن. يقولون: اسمد لنا: تغنّ لنا. و المآل واحد. و إن اختلفت العبارة عنه و لا ريب 61

و لهذا قال تعالى: **(فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ)** (

الأمر بالسجود لله خصوصاً ليدل ذلك على فضله و أنه سر العبادة و لبها فإن لبها الخشوع لله و الخضوع له و السجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه و بدنه و يجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطاء الأقدام.

*ثم أمر بالعبادة عموماً الشاملة لجميع ما يحبه الله و يرضاه من الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة.

* البخارى 4862 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

«سَجَدَ (عند الانتهاء من قراءتها) النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّجْمِ وَ سَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَ الْمُشْرِكُونَ (سجدوا معارضة للمسلمين إذ إنهم سجدوا لمعبودهم

أو أنهم سجدوا بلا قصد أو خافوا من مخالفة المسلمين في ذلك المجلس) وَ الْجَنُّ وَ الْإِنْسُ» (أى لم يكن السجود خاصاً بالإنس بلا قصد)

* البخارى 4863 عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَ النَّجْمِ قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ سَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ "فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا وَ هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ 62

54-تفسير سورة اقتربت (القمر)-مكية

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)

*قَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ:- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِقَافٍ وَ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فِي الْأَضْحَى وَ الْفَطْرِ وَ كَانَ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي الْمَحَافِلِ الْكِبَارِ لِاشْتِمَالِهِمَا عَلَى ذِكْرِ الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ وَ بَدْءِ الْخَلْقِ وَ إِعَادَتِهِ وَ التَّوْحِيدِ وَ اثْبَاتِ التُّبُوتِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْعَظِيمَةِ.

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول:-

*الترمذى 3286 - عَنْ أَنَسٍ قَالَ: " سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيُّ ﷺ آيَةَ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ مَرَّتَيْنِ فَزَلَّتْ

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر: 1] إِلَى قَوْلِهِ - (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) [القمر: 2]

* قال الحافظ ابن كثير في البداية و النهاية ج 3 ص 120:-

و فيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه

و لهذا خفى أمره على كثير من أهل الأرض و يقال إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند و بنى بناء تلك الليلة و أرخ بليلة انشقاق القمر اهـ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: (أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ سُبْحَانَهُ) [التخل: 1] وَ قَالَ: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) [الأنبياء: 1]

* البخارى 5301 عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " بُعِثْتُ أَنَا وَ السَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ: كَهَاتَيْنِ " وَ قَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَ الْوُسْطَى

* يخبر تعالى أن الساعة و هى القيامة اقتربت و آن أوانها و حان وقت مجيئها

* و مع ذلك فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها غير مستعدين لنزولها و يريهم الله من الآيات العظيمة الدالة

على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر

معجزة انشقاق القمر 8-1

*فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به و صدقه أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى:

فانشق فلقتين:

1- **فلقة على جبل أبي قبيس**

2- **و فلقة على جبل قعقعمان**

و المشركون و غيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوى التى لا يقدر الخلق على التمويه بها و التخيل.

فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله بل و لم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره فانبهروا لذلك و لم يدخل الإيمان فى قلوبهم و لم يرد الله بهم خيرا ففرغوا إلى بهتهم و طغيانهم و قالوا: سحرنا محمد

*و لكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر فإنه و إن قدر على سحرهم لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم فسألوا كل من قدم فأخبرهم بوقوع ذلك

*البخارى 4767 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ:

الدُّخَانُ وَ الْقَمَرُ وَ الرُّومُ وَ الْبَطْشَةُ وَ اللَّزَامُ "؛ (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) [الفرقان: 77] جاء هذا الحديث مفسرا في مسلم

*مسلم -2798 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ جُلُوسًا وَ هُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا فَأَتَاهُ رَجُلٌ

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ (هو باب الكوفة) يَقْصُ وَ يَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ

فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَ جَلَسَ وَ هُوَ غَضْبَانٌ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ وَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ:-

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبَعَ يُوسُفَ» قَالَ:-

فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ (استأصلته) كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَ الْمِيتَةَ مِنَ الْجُوعِ وَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ

فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ:-

يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَ بِصَلَةِ الرَّحِمِ وَ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان: 11] إِلَى قَوْلِهِ:

(إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) [الدخان: 15] قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) [الدخان: 16]

(هذا استفهام إنكار على من يقول إن الدخان يكون يوم القيامة كما صرح به في الرواية الثانية فقال ابن مسعود هذا قول باطل لأن الله تعالى قال) إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم

عائدون) ومعلوم أن كشف العذاب ثم عودهم لا يكون في الآخرة و إنما هو في الدنيا)

فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ وَ الْبَطْشَةُ وَ اللَّزَامُ

(أي يكون عذابهم لازما قالوا وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر وهي البطشة الكبرى) وَ آيَةُ الرُّومِ

(المراد به قوله تعالى {غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون} وقد مضت غلبة الروم على فارس يوم الحديبية)

*البخارى -3637 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ:

أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ»

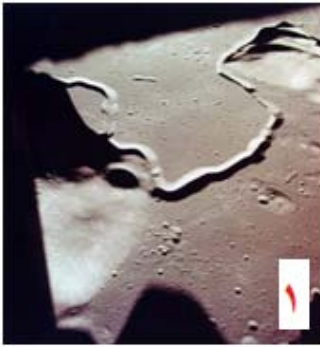
*البخارى -3636 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُوا»

*مسند أبي داود الطيالسي -عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:-

انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ: وَ قَالُوا: انْتَظَرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السَّقَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّداً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ:فَجَاءَ السَّقَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ "

*جاء في موقع الكحيل الرابط

فقد كشف علماء وكالة ناسا وجود شق في القمر يبلغ طوله عدة مئات من الكيلومترات ثم كشفوا عدداً من التشققات على سطح القمر ولم يعرفوا حتى الآن سبب وجود هذه الشقوق إلا أن بعض العلماء يعتقدون أنها نتيجة لتدفق بعض الحمم المنصهرة ولكن هذه وجهة نظر فقط.



و هناك عدد كبير من التشققات على سطح القمر

و بعض هذه التشققات أشبه "بوصلات لحام"

و كأننا أمام سطح معدني تشقق ثم التحم!!

و كل ما قاله علماء وكالة ناسا حول هذه الشقوق هو:-

rilles are still a topic of research

ومعنى ذلك أن هذه الشقوق لا زالت قيد البحث.

و الحقيقة هذه الشقوق حيرت الباحثين حتى الآن ولم يجدوا لها تفسيراً.

و كل النظريات التي طُرحت لا تتناسب مع طبيعة الصور الملتقطة

إذ أن الصور تبين و كأن هناك لحام ماهر قام بلحام سطح القمر الممتزق!

هذا ما تقوله الصور.

صور لشق كبيرة في القمر و اللافت للانتباه الطريقة التي "لحم" بها هذا الشق

و يقول العلماء إن هذه الشقوق لا مثل لها على الأرض لأنها طويلة و غريبة بالنسبة لنا و هى تناقض

النظريات التي نعرفها في الفيزياء

*فما هو سر وجودها و كيف تشكلت و متى وما هى القوانين التى تحكم هذه العملية...؟

*كلها أسئلة تنتظر من يبحث و يجيب عنها.

و فى رحلة الفضاء التى قامت بها وكالة ناسا الأمريكية التقط العلماء عدداً كبيراً من الصور لظاهرة الشقوق القمرية

rilles وقد حيرت هذه الصور الباحثين فى العالم لم يجدوا لها تفسيراً منطقياً أو علمياً حتى هذه اللحظة.

*فى الصورة رقم 1 التقطت للقمر من قبل وكالة ناسا عام 1969 من ارتفاع 14 كيلو متر عن سطح القمر وتبين وجود شق يظهر عليه آثار

"التحام"فاعتقدوا أن هناك كميات من الحمم المنصهرة تدفقت من خلاله و ساهمت بتغليف هذا الشق. **رابط الصورة**

(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) و لم يعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: و إن يروها بل قال:

(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا)و ليس قصدهم اتباع الحق و الهدى و إنما قصدهم اتباع الهوى

(وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)سحرنا محمد و سحر غيرنا

و هذا من البهت الذى لا يروج إلا على أسفه الخلق و أضلهم عن الهدى و العقل

و هذا ليس إنكاراً منهم لهذه الآية وحدها بل كل آية تأتيهم فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل و الرد لها

و لهذا قال:- (وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) كقوله (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ

فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى لآمنوا قطعاً و اتبعوا محمداً ﷺ لأنه أراهم الله على يديه من البينات و البراهين و الحجج القواطع ما دل على جميع المطالب الإلهية و المقاصد الشرعية

(وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ) إلى الآن لم يبلغ الأمر غايته و منتهاه و سيصير الأمر إلى آخره

-فالمصدق يتقلب في جنات النعيم و مغفرة الله ورضوانه

-و المكذب يتقلب في سخط الله و عذابه خالداً مخلداً أبداً 3

و قال تعالى -مبيناً أنهم ليس لهم قصد صحيح و لا اتباع للهدى-:

(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) الأخبار السابقة و اللاحقة و المعجزات الظاهرة

(مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) زاجر يزرهم عن غيهم و ضلالهم 4

و ذلك (حِكْمَةٌ) منه تعالى

(بَلَاغَةٌ) عظيمة بالغة غايتها

*لتقوم حجته على المخالفين و لا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل

(فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ) عن قوم أعرضوا و كذبوا بها؟

كقوله تعالى: (وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَا يَوْمِنُوا حَتَّى يَرْوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) كقوله

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: 149] (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالتُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) [يونس: 101]

يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم فلم يبق إلا الإعراض عنهم و التولى عنهم 5

(فَتَوَلَّ) فأعرض (عَنْهُمْ) و انتظر بهم يوماً عظيماً و هولاً جسيماً

و ذلك حين (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ)

(يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) إسرافيل عليه السلام

(إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ) أمر فظيع تنكره الخليقة

فلم تر منظراً أفظع و لا أوجع منه فينفخ إسرافيل نفخة يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة 6

.....

خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَخِيسُ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ لَقِىَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئَنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

(خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ) من الهول و الفزع الذى وصل إلى قلوبهم فخضعت و ذلت و خشعت لذلك أبصارهم.

(يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور

(كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) من كثرتهم و روجان بعضهم ببعض

(جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) مبعوث فى الأرض متكاثر جدا 7

(مُهْطِعِينَ) مسرعين

(إِلَى الدَّاعِ) لإجابة النداء الداعى

و هذا يدل على أن الداعى يدعوهم و يأمرهم بالحضور لموقف القيامة فيلبون دعوته و يسرعون إلى إجابته

(يَقُولُ الْكَافِرُونَ) الذين قد حضر عذابهم: - (هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)

كما قال تعالى (عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) [المائدة: 10] مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين 8

*لما ذكر تبارك و تعالى حال المكذبين لرسوله و أن الآيات لا تنفع فيهم و لا تجدى عليهم شيئا أنذرهم و خوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسول و كيف أهلكهم الله و أحل بهم عقابه.

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام فدعاهم إلى توحيد الله و عبادته فامتنعوا من ترك

الشرك و قالوا: **(لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)**

و لم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلا و نهارا و سرا و جهارا فلم يزداهم ذلك إلا عنادا و طغيانا و قدحا في نبيهم

و لهذا قال هنا: **(مَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ)**

لزعمتهم أن ما هم عليه و آباؤهم من الشرك و الضلال هو الذى يدل عليه العقل و أن ما جاء به نوح **(عليه السلام)** جهل

و ضلال لا يصدر إلا من المجانين و كذبوا في ذلك و قلبوا الحقائق الثابتة شرعا و عقلا

فإن ما جاء به هو الحق الثابت الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة إلى الهدى و النور و الرشد و ما هم عليه

جهل و ضلال مبين

(وَأَذِجِرْ) زجره قومه و عنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى فلم يكفهم -قبحهم الله- عدم الإيمان به و لا

تكذيبهم إياه حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه و هكذا جميع أعداء الرسل هذه حالهم مع أنبيائهم.

كقوله **(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)** [الشعراء: 116] **9**

(فَدَعَا رَبَّهُ) فعند ذلك دعا نوح ربه فقال: **-(أَنِّي مَغْلُوبٌ)**

لا قدرة لى على الانتصار منهم لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر و لا قدرة لهم على مقاومة قومهم

(فَأَنْصِرْ) اللهم لى منهم و قال فى الآية الأخرى: **(رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)** **10**

فأجاب الله سؤاله و انتصر له من قومه قال تعالى:-

(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) كثير جدا متتابع **11**

(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)

فجعلت السماء ينزل منها من الماء شىء خارق للعادة و تفجرت الأرض كلها حتى التنور الذى لم تجر العادة

بوجود الماء فيه فضلا عن كونه منبعا للماء لأنه موضع النار.

***جاء في الويكبيديا طوفان نوح:-**

هي تسمية تطلق على قصة طوفان عظيم حصل بسبب طغيان البشر على الأرض و رغم اختلاف القصة فى

مختلف الديانات و المعتقدات إلا أن جميعها تتفق على حصوله و نجاة الناجين على سفينة أبحرت فوقه

أما من وجهة نظر المؤرخين فقد حصل طوفان قبل حوالى 3000 قبل الميلاد فى منطقة وادى الرافدين الذى

يُعتقد أنه طوفان نوح و لقد أجرت عدة بعثات أثرية ببعض التنقيبات فى سهول بلاد الرافدين للبحث عن

الآثار التى تذر بها تلك المنطقة التى شهدت عدة حضارات

و لقد كشفت تلك التنقيبات إلى أن هذه المنطقة شهدت طوفاناً عظيماً قضى على الحضارة السومرية التى

كان أهلها يقطنون فى سهول الرافدين **فقد ظهرت آثار الطوفان جلية فى أربعة مدن رئيسية فى بلاد الرافدين**

أور - أريش - شورباك - كيش.

(فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء و الأرض

(عَلَى أَمْرِ) من الله له بذلك

(قَدْ قَدَّرَ) كتبه الله فى الأزل و قضاه عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين 12

(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى) و نجينا عبدنا نوحا على السفينة (ذَاتِ الْوَجْ) (

(وَدُسِّرِ) المسامير التى قد سمرت بها ألواحها و شُدَّ بها أسرها 13

(تَجَرَّى) بنوح و من آمن معه و من حملة من أصناف المخلوقات

(بِأَعْيُنِنَا) برعاية من الله و حفظ منه لها عن الغرق و نظر و كلائه منه تعالى و هو نعم الحافظ الوكيل

فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام

(جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا) حيث كَذَّبَهُ قومه و كفروا به فصبر على دعوتهم و استمر على أمر الله فلم يردده عنه راد و لا

صده عنه صاد كما قال تعالى عنه فى الآية الأخرى:

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [هود: 48]

و يحتمل أن المراد:-

أنا أهلكنا قوم نوح و فعلنا بهم ما فعلنا من العذاب و الخزي جزاء لهم على كفرهم و عنادهم و هذا متوجه على

قراءة من قرأها بفتح الكاف 14

(وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ) متذكر للآيات ملق ذهنه و فكرته لما يأتیه منها فإنها فى غاية البيان و اليسر؟

1- و لقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون على أن من عصى الرسل و عاندهم أهلكه الله

بعقاب عام شديد

2- أو أن الضمير يعود إلى السفينة و جنسها و أن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده نوح عليه السلام

ثم أبقى الله تعالى صنعتها و جنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه و عنايته و كمال قدرته و بديع

صنعتة

*جاء فى موقع الاعجاز العلمى:-

فى الأعوام التى تلت عام 1953 قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل الجودى (Mt.Cudi (Judi

فى تركيا و عاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة و فحصتها بنظير الكاربون المشع للتعرف على عمرها

الحقيقى و وجدت أنها صنعت قبل حوالى 4500 سنة و ان هذا التقدير العمرى المبني على قراءات أجهزة

الفحص الفيزيائية يتطابق تماما مع ما ورد فى المدونات السومرية.

بيد أن الفضل الكبير فى اكتشاف أسرار و خبايا الموقع الذى رست فيه سفينة نوح عليه السلام NOAH'S ARK

و التوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة و رحلتها الأسطورية يعزى إلى الباحثين ديفيد

فاسولد David Fasold و رون وايت Ron Wyatt

و يعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي أحمد أرسلان الذى تسلق جبل الجودي أكثر من 50 مرة على مدى 40 عام لاستطلاع موقع السفينة حيث جاءت إحدائيات الموقع المكتشف تحت جبل الجودي مطابقة تماما للموقع الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم قال تعالى:-

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود:44) 15

(فَكَيْفَ كَانَ) فكيف رأيت أيها المخاطب (عَذَابِي) أى عذاب الله الأليم

(وَنُذِرْ) أى و إنذاره الذى لا يبقى لأحد عليه حجة 16

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا) و سهلنا

(الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) هذا القرآن الكريم

ألفاظه :- للحفظ و الأداء

و معانيه: للفهم و العلم

لأنه أحسن الكلام لفظا و أصدقه معنى و أبينه تفسيرا

* فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير و سهله عليه

و الذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون :

من الحلال و الحرام و أحكام الأمر و النهى و أحكام الجزاء و المواعظ و العبر و العقائد النافعة و الأخبار

الصادقة

* و لهذا كان علم القرآن حفظا و تفسيرا أسهل العلوم و أجلها على الإطلاق و هو العلم النافع الذى إذا طلبه

العبد أعين عليه

قال بعض السلف عند هذه الآية:-

هل من طالب علم فيعان عليه؟

و لهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه و التذكر بقوله:-

(فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) متعظ و متذكر

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص: 29)

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَكَ) [مريم: 97] 17

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ)

قصة عاد قوم هود 18-22

هى القبيلة المعروفة باليمن أرسل الله إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله و عبادته فكذبوه 18

(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ)

فأرسل الله عليهم

(رِيحًا صَرْصَرًا) شديدة جدا باردة شديدة البرد

(فِي يَوْمٍ فَجِئٍ) شديد العذاب و الشقاء عليهم لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالاخرى

(مُتَمَرِّمٍ) عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما 19

(نَزَّاعُ النَّاسِ) من شدتها فترفعهم إلى جو السماء ثم تغييهم عن الابصار ثم تدفعهم بالأرض على أم رؤوسهم فيسقط على الارض فتتلج رؤوسهم فييقون جثة بلا رأس

فيصبحون (كَأَنَّهُمْ) كأن جثثهم بعد هلاكهم

(أَعْجَازُ) أصول

(نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) منفصلة أجسامهم مثل جذوع النخل الخاوى الذى أصابته الريح فسقط على الأرض

* فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره 20

(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) كان و الله العذاب الأليم و النذارة التى ما أبقت لأحد عليه حجة 21

(وَلَقَدْ سَرَّاهُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)

كرر تعالى ذلك رحمة بعباده و عناية بهم حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم و آخراهم 22

(كَذَبَتْ ثَمُودُ) هم القبيلة المعروفة المشهورة فى أرض الحجر نبیهم صالحا حين دعاهم إلى عبادة الله

قصة ثمود قوم صالح 23-32

(بِالنُّذْرِ) بما أُنذَرهم العقاب إن هم خالفوه فكذبوه و استكبروا عليه 23

(فَقَالُوا) - كبرا و تيهًا: - (أَبَشْرًا مَنَا وَجِدًا نَتَّبِعُهُ)

كيف نتبع بشرا لا ملكا منا لا من غيرنا ممن هو أكبر عند الناس منا و مع ذلك فهو شخص واحد

(إِنَّا إِذَا) أى: إن اتبعناه و هو بهذه الحال

(لَفِي ضَلَالٍ) بُعِدٍ عن الصواب (وَسُعْرٍ) جنون.

أى: إنا لضالون أشقياء و هذا الكلام من ضلالهم و شقائهم فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر

و لم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر و الحجر و الصور 24

(أَمْ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) كيف يخصه الله من بيننا و ينزل عليه الذكر؟

فأى مزية خصه من بيننا؟

و هذا اعتراض من المكذبين على الله لم يزلوا يدلون به و يصلولون و يجولون و يردون به دعوة الرسل

و قد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم:-

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) [إبراهيم: 10]

* فالرسل من الله عليهم بصفات و أخلاق و كمالات بها صلحوا لرسالات ربهم و الاختصاص بوحيه و من رحمته و حكمته أن كانوا من البشر

* فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر أن يتلقوا عنهم

* و لو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

و المقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح تكذيبه

* و لهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر فقالوا:- (**بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌّ**) كثير الكذب و الشر

فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم و أظلمهم و أشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع

لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم **25**

(**سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ**) **٢٦** **إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ**)

التي هى من أكبر النعم عليهم آية من آيات الله و نعمة يحتلبون من ضرعها ما يكفيهم أجمعين

(**فَوَيْلٌ لَهُمْ**) اختبارا منه لهم و امتحانا

(**فَارْتَقِبْهُمْ**) ارتقب ما يحل بهم أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟

(**وَأَصْطَبِرْ**) اصبر على دعوتك إياهم **27**

وَنَبِّتُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخِطَرِ ﴿٣١﴾

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٣﴾

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾

وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْنَدِرٌ ﴿٤٢﴾

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾

سَيَهْرِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴿٤٦﴾

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(وَنَبِّتُهُمْ) أخبرهم (أَنَّ الْمَاءَ) موردهم الذى يستعذبونه

(قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) و بين الناقة لها شرب يوم و لهم شرب يوم آخر معلوم

(كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ) يحضره من كان قسمته و يحظر على من ليس بقسمة له.

*كقوله (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ) [الشعراء: 155] 28

(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) الذى باشر عقرها الذى هو أشقى القبيلة قدار بن سالف كقوله (إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا) [الشمس: 12]

(فَنَعَاطَى) انقاد لما أمره به من عقرها

(فَعَقَرَ) فنحرها 29

(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ)

كان أشد عذاب أرسل الله عليهم صيحة و رجفة أهلكتهم عن آخرهم و نجى الله صالحا و من آمن معه 30

(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً) الصوت العالى

(فَكَانُوا) صاروا (كَهَشِيمِ الْمُخِطَرِ) كالعشب اليابس فى الحظيرة اذا داسته الغنم بعد سقوطه

من موقع الإعجاز العلمي:-

لك أن تتساءل كيف يمكن أن يموت الإنسان في دياره دون أن تصيب داره بأى أذى كما ذكر القرآن الكريم؟
(فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ)

لم تكن الرجفة التى مات عن طريقها قوم مدين و التى تحدث عنها القرآن هى زلزالا و إنما كانت نتيجة تأثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتية في أعضاء الجسم و التى تتسبب بارتجاف بعض الأعضاء الداخلية للإنسان. و الدليل على ذلك أن هذه الرجفة لم تؤثر على المباني و إنما فقط على الإنسان.
* و ما يمكن أن يدلنا على ذلك هو الاستخدام الحديث لبعض الأسلحة الفتاكة و التى تعتمد على الموجات تحت الصوتية و التى يبلغ تردددها (7هيرتز) مع درجة شدة معينة من الديسيبلز فإنها تولّد ذبذبة مماثلة لدرجة ذبذبة الموجات الصوتية نتيجة للرنين و لهذا تصاب الأعضاء بالرجفة التى تؤدى بدورها إلى انفجار العضو الداخلى لجسم الإنسان (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)هود: 65
قوم ثمود وقوم مدين قضاوا بالصيحة و لكن السؤال لماذا أماتهم الله تعالى في وقت الصباح؟ وما التفسير العلمى لذلك؟

عند التعرض الطويل للموجات تحت الصوتية فإن هذه الموجات غير المسموعة التى يشعر بها الجسم فقط تسبب حالة من الشعور بالضيق و الضغط الشديد تؤدى إلى إفراز هرمون الكورتيزول (cortisol) في الجسم. و هذا أمر معروف طبياً. و كذلك التعرض أثناء النوم لموجات تحت صوتية يؤدى إلى ارتجاف بعض أعضاء الجسم كالمعدة أو القلب و يحفز الجسم على إنتاج هرمون الكورتيزول.

فما تأثير إنتاج الكورتيزول على الجسم؟

إنّ هرمون الكورتيزول الذي يفرز عن طريق الغدد المجاورة للكلية- يلعب دوراً مهماً ورئيسياً في تهيئة الجسم لمقاومة الضغوطات فهو يرفع ضغط الدم و يرفع مستوى السكر في الدم أيضاً و ذلك ليزود الجسم بالطاقة اللازمة لمواجهة الحالات الطارئة.

إلا أنه في حالة التعرض للضغوطات لمدة طويلة فإنّ إنتاج هرمون الكورتيزول (cortisol) يزداد مما يؤدى إلى إضعاف جهاز المناعة و الإصابة بارتفاع ضغط الدم أو تجلط الدماغ أو إضعاف عمل الغدد الصماء و كل هذه الأعضاء أساسية لاستمرار الحياة.

و النتيجة هى أنّ زيادة إنتاج هرمون الكورتيزول يؤدى إلى الوفاة.

هرمون الكورتيزول تقوم بإفرازه الغدة الأدرينالية في جسم الإنسان و يسمى أيضاً هرمون الضغط لأنه ينشأ عن الضغط النفسى و يسبب ارتفاع في ضغط الدم و السكرى و يخفّض مناعة الجسم.

و لكن لماذا كان تأثير الموجات تحت الصوتية شديد في الساعات الأولى من الصباح ؟
لأنه في ذلك الوقت يكون إفراز هرمون الكورتيزول في أعلى مستوى له.

فإذا تم تحفيز إنتاج هذا الهرمون في هذا الوقت من الصباح فإنه يؤدى إلى تخريب الإنتاج الطبيعى لهرمون الكورتيزول بأسوء طريقة ممكنة ذلك لأنّ النائم يتلقى الموجات تحت الصوتية على أنها شيء يهدد الإنسان فترتفع نسبة إنتاج الكورتيزول في الجسم.

إلا أنّ هذه المادة لا يستخدمها الجسم لأنّ الإنسان نائم فتبقى في الجسم مسببة تخريباً في عمل أعضاءه. و هذا هو التفسير العلمى لموت الأقوام ثمود و مدين بالصيحة "مصبحين".

و لكن ما هى المدة الزمنية التى يلزم تعرّض النائم لها لتحصل الوفاة؟

إنَّ الأبحاث العسكرية السرية لا زالت تقوم بتجارب في ذلك الشأن لاستخدام الموجات تحت الصوتية كسلاح قتل أو تعذيب . في موضوع نشر حول هذا الموضوع يوصف المتعرض للموجات تحت الصوتية بأن لونه يصبح مخضراً كلون العشب الأخضر. المقالة عن سلاح الصوت مأخوذة من موقع : [الرابط 31](#)

(وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) 32

قصة لوط 33-40

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ) لوط عليه السلام (بِالنَّذْرِ) حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له و نهاهم عن الشرك و الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين مِنْ إِيَّانِ الذُّكُورِ فكذبوه و استمروا على شركهم و قبائحهم * حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط جاؤوهم مسرعين يريدون إيقاع الفاحشة فيهم لعنهم الله و قبحهم و راودوه عنهم

* فأمر الله جبريل عليه السلام فطمس أعينهم بجناحه و أنذرهم نبيهم بطشة الله و عقوبته 33

(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ

(إِلَّا آءَال لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)

خَرَجُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَنَجَّوْا مِمَّا أَصَابَ قَوْمَهُمْ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِلُوطٍ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ وَ لَا رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتَّى وَ لَا امْرَأَتُهُ أَصَابَهَا مَا أَصَابَ قَوْمَهَا 34

(نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ لُوطٌ وَ بَنَاتٌ لَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ سَالِمًا لَمْ يَمَسَّهُ سُوءٌ

(كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) ربه بعبادته وحده لا شريك له ﴿٣٥﴾

(وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) لَقَدْ كَانَ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ قَدْ أَنْذَرَهُمْ

(بَطَشْنَا) بِأَسِ اللَّهِ وَ عَذَابُهُ فَمَا التَّفَقُّتُوا إِلَى ذَلِكَ وَ لَا أَصْعَوْا إِلَيْهِ

(فَتَمَارَوْا) شكوا (بِالنَّذْرِ) في الانذار و لم يصدقوه 36

(وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) لقد طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه من الملائكة جبريل و ميكائيل و إسرافيل

فِي صُورَةِ شَبَابٍ مُرْدٍ حِسَانٍ مُحَنَّةٍ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ

فَأَصَافَهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ بَعَثَتْ امْرَأَتُهُ الْعَجُوزَ السُّوءَ إِلَى قَوْمِهَا فَأَعْلَمَتْهُمْ بِأَضْيَافِ لُوطٍ فَأَقْبَلُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَأَغْلَقَ لُوطٌ دُونَهُمُ الْبَابَ فَجَعَلُوا يُحَاوِلُونَ كَسْرَ الْبَابِ وَ ذَلِكَ عَشِيَّةً وَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَافِعُهُمْ وَ يُمَاقِلُهُمْ دُونَ أَضْيَافِهِ وَ يَقُولُ لَهُمْ: (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي) يَعْنِي: نِسَاءَهُمْ (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) [الْحَجَر: 71]

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) أَي: لَيْسَ لَنَا فِيهِنَّ أَرْبٌ (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ) [هُود: 79]

* فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَالُ وَ أَبَوْا إِلَّا الدُّخُولَ (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) فلم يُبصروا شيئاً.

فلقد خَرَجَ عَلَيْهِمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَرَبَ أَعْيُنَهُمْ بِطَرْفِ جَنَاحِهِ فَانْطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ يُقَالُ: إِنَّهَا غَارَتْ مِنْ وَجْهِهِمْ.

و قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ تَبْقَ لَهُمْ عُيُونٌ بِالْكُلِّيَّةِ فَرَجَعُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ يَتَحَسَّسُونَ بِالْحِيطَانِ وَ يَتَوَعَّدُونَ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّبَاحِ

(فَذَوْقُوا عَذَابِي) الذي أنزلته بكم لكفركم و تكذيبكم (وَنُذِرْ) و إنذارى الذي أنذركم به لوط عليه السلام 37

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:- (وَلَقَدْ صَبَحَهم) أتاهم (بُكَرَةً) صباحاً

(عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ) مستقر نازل عليهم لا يفارقهم لا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ وَ لَا انْفِكَاءَ لَهُمْ مِنْهُ

1- قلب الله عليهم ديارهم

2- و جعل أسفلها أعلاها

3- و تتبعهم بحجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك للمسرفين 38

(فَذَوْقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) .

* جاء في موقع الاعجاز العلمى:- عذاب قوم لوط بالصيحة: قال تعالى في سورة الحجر:-

(وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ* قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ* قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ* فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ* فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّسِينَ* وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)

تشير هذه الآيات إلى أَنَّ الصيحة التى قضت على قوم لوط كانت مترافقة مع زلزال كبير و بركان قوى فكانت الحمم البركانية تخرج من باطن ثم تهبط عليها كالمطر على قوم لوط الذين كانوا يسكنون منطقة (سديم) في الأردن.

و تشير الآيات السابقة إلى أَنَّ قوم لوط جاءتهم الصيحة "مشرقين" أى في ساعات الصباح الأولى. ويمكننا التساؤل عما إذا كان موت لوط الفعل بالصيحة و الرجة أولاً ثم بالبراكين و الزلازل لأن الله تعالى أراد أن لا يبقى لهم أثراً. و يؤكد هذا عالم الآثار الألماني وورنر كيلر (Werner Keller) قائلاً:- "غاص وادى سديم الذى يتضمن (سدوم) و(عامورا) مع الشق العظيم الذى يمر في هذه المنطقة إلى أعماق سحيقة في يوم واحد

قال إِنَّ هَذَا الدمار حدث بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبها عدة انفجارات و أضواء نتج عنها غاز طبيعى و حريق شامل تحررت معه القوى البركانية التى كانت هادمة في الأعماق على طول الصدع في ذلك الغور.

أما قوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ) فيمكن أن يعني حدوث انفجار بركانى على ضفتى بحيرة لوط و لهذا كانت الحجارة التى انطلقت (من سِجِّيلٍ) و عن ذلك يقول وورنر كيلر أيضاً في كتابه:-

تحررت القوى البركانية التى كانت هادمة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور

و لا تزال فوهات البراكين الخاملة تبدو ظاهرة في الوادى العلوى من الضفة الغربية

بينما تترسب هنا الحمم البركانية و تتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح

الكلى 40

(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ) و قومهم (النُّذُرُ) فأرسل الله إليهم موسى الكليم و أیده بالآيات الباهرات و المعجزات القاهرة

و أشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحدا غيرهم **41**

(كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ)

فأغرقهم فى اليم هو و جنوده و المراد من ذكر هذه القصص تحذير الناس و المكذبين لمحمد ﷺ **42**

تهكم كفار قريش مصير المجرمين 43-53

و لهذا قال: (**أَكْفَارُكُمْ**) كفار قريش- هؤلاء الذين كذبوا أفضل الرسل

(**خَبِيرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ**) من أولئك المكذبين الذين ذكر الله هلاكهم و ما جرى عليهم؟

فإن كانوا خيرا منهم أمكن أن ينجوا من العذاب و لم يصيبهم ما أصاب أولئك الأشرار

و ليس الأمر كذلك فإنهم إن لم يكونوا شرا منهم فليسوا بخير منهم

(**أَمَرَ لَكُمْ بَرَاءَةً**) أم أعطاكم الله عهدا و ميثاقا

(**فِي الزُّبُرِ**) الكتب التى أنزلها على الأنبياء فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله و وعده؟

* و هذا غير واقع بل غير ممكن عقلا و شرعا أن تكتب براءتهم فى الكتب الإلهية المتضمنة للعدل و الحكمة

فليس من الحكمة نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين لأفضل الرسل و أكرمهم على الله **43**

فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها فأخبر تعالى أنهم يقولون:-

(**أَمْرٌ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ**) قال تعالى مبينا لضعفهم و أنهم مهزومون:- **44**

(**سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ**)

فوقع كما أخبر هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر و قتل من صناديدهم و كبرائهم ما ذلوا به و نصر الله دينه و نبيه و حزه المؤمنين.

* و مع ذلك فلهم موعد يجمع به أولهم و آخرهم و من أصيب فى الدنيا منهم و من متع بلذاته

* البخارى -4875 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:- وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا تُعَبِّدَ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ:- حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:-

(**سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ**) **45** [القمر: 45]

و لهذا قال:- (**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ**) الذى يحازون به و يؤخذ منهم الحق بالقسط

(**وَالسَّاعَةُ أَذْهَى**) أعظم (**وَأَمْرٌ**) أشق و أكبر من كل ما يتوهم أو يدور بالبال.

* البخارى-4876 يُوْسُفُ بْنُ مَاهِكٍ قَالَ:- إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ:-

لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَ إِنِّي لَجَارِيَةٌ (حَدِيثُ السَّنَنِ) **أَلْعَبُ** (**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ**) [القمر: 46]

(**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ**) الذين أكثروا من فعل الجرائم و هى الذنوب العظيمة من الشرك و غيره من المعاصي

(فِي ضَلَالٍ) هم ضالون في الدنيا ضلال عن العلم و ضلال عن العمل الذي ينجيهم من العذاب

(وَسُعْرٍ) و يوم القيامة في العذاب الأليم و النار التي تتسعر بهم و تشتعل في أجسامهم حتى تبلغ أفئدتهم 47

(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ)

التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء و ألمها أشد من ألم غيرها فيهانون بذلك و يخزون

و يقال لهم: (ذُوقُوا) ذوقوا (مَسَّ سَقَرٍ) ألم النار و أسفها و غيظها و لهبها.

*الصحيح المسند من اسباب النزول: مسلم -2656 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:-

جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49] 48

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) و هذا شامل للمخلوقات و العوالم العلوية و السفلية أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها

سواه و لا مشارك له في خلقها . و خلقها بقضاء سبق به علمه و جرى به قلمه بوقتها و مقدارها و جميع ما

اشتملت عليه من الأوصاف و ذلك على الله يسير كقوله (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: 2]

كقوله (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى 1 الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى 2 وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) [الأعلى: 1-3]

أَيُّ: قَدَّرَ قَدَرًا وَ هَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ

وَ لِهَذَا يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ السَّابِقِ لِخَلْقِهِ وَ هُوَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ كِتَابَتُهُ لَهَا قَبْلَ بُرْئِهَا وَ رَدُّوْا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ مَا شَاكَلَهَا مِنْ آيَاتٍ وَ مَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَاتِ عَلَى الْفَرْقَةِ الْقَدَرِيَةِ الَّذِينَ نَبَغُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ

*مسلم (2664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ

(المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والفرحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها

ونحو ذلك)

وَ فِي كُلِّ خَيْرٍ (معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات)

أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ

(معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة)

وَ اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَ لَا تَعْجَزْ وَ إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا

وَ لَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَ مَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

*الترمذي -2516 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ:

يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ

وَ إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَ أَعْلَمْ أَنَّ الْأَمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَ جَفَّتِ الصُّحُفُ.

*مسلم-2653 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-
كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ:-
وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (قبل خلق السموات والأرض) **49**

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلْتَجٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ ﴿٥١﴾

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

55-سورة الرحمن-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾

فِيهَا فَكِكْهُنَّ ﴿١١﴾ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴿١٣﴾ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٤﴾

فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٥﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٦﴾

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾

(وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً) فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون كما أراد (كَلْتَجٍ بِالْبَصْرِ) من غير ممانعة و لا صعوبة 50

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أمثالكم و سلفكم من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم و كذبوا كما كذبتهم

(فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ) متذكر يعلم أن سنة الله فى الأولين و الآخرين واحدة

* و أن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار فإن هؤلاء مثلهم و لا فرق بين الفريقين

* كقوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) [سبأ: 54] 51

(وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) من خير و شر مكتوب عليهم (فِي الزُّبُرِ) الكتب القدريّة التى بأيدي الملائكة 52

(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ) مسطر مكتوب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة

و هذا حقيقة القضاء و القدر و أن جميع الأشياء كلها قد علمها الله تعالى

و سطرها عنده فى اللوح المحفوظ فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه 53

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ) الله بفعل أوامره و ترك نواهيه الذين اتقوا الشرك و الكبائر و الصغائر.

(فِي جَنَّاتٍ) النعيم التي فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر من: -

- 1- الأشجار اليانعة 2- و الأنهار الجارية 3- و القصور الرفيعة
- 4- و المنازل الأنيقة 5- و المآكل و المشارب اللذيذة 6- و الحور الحسان 7- و الروضات البهية في الجنان
- 8- و رضوان الملك الديان و الفوز بقربه

(وَنَهَرٍ)

*بعكس ما عليه الأشقياء فيه من الضلال و السعير و السحب في النار على وجوههم مع التوبيخ و التقرير و التهديد 54

و لهذا قال: (فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ) دَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ وَ رِضْوَانِهِ وَ فَضْلِهِ وَ اِمْتِنَانِهِ وَ جُودِهِ وَ إِحْسَانِهِ

(عِنْدَ مَلِكٍ) الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْخَالِقِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَ مُقَدِّرِهَا

(مُقَنِّدٍ) عَلَى مَا يَشَاءُ مِمَّا يَطْلُبُونَ وَ يُرِيدُونَ

فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته و جوده و يمد هم به من إحسانه و منته جعلنا الله منهم و لا حرما خير ما عنده بشر ما عندنا 55

تفسير سورة الرحمن - و هى مكية - بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة الكريمة الجليلة افتتحها باسمه (الرَّحْمَنُ) الدال على سعة رحمته و عموم إحسانه و جزيل بره

نعم الله على عباده 1-25

و واسع فضله 1

*ثم ذكر ما يدل على رحمته و أثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية و الدنيوية و الآخروية و بعد كل جنس و نوع من نعمه ينبه الثقلين لشكره و يقول: - (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

فذكر أنه (عَلَّمَ الْقُرْآنَ)

علم عباده ألفاظه و معانيه و يسرها على عباده و هذا أعظم منة و رحمة رحم بها عباده

حيث أنزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن ألفاظ و أحسن تفسير مشتمل على كل خير زاجر عن كل شر 2

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ)

فى أحسن تقويم كامل الأعضاء مستوفى الأجزاء محكم البناء قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه أى إتقان

و ميزه على سائر الحيوانات 3

بأن (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) التبيين عما في ضميره و هذا شامل للتعليم النطقى و التعليم الخطى

فالبیان الذى ميز الله به الآدمى على غيره من أجل نعمه و أكبرها عليه 4

(**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**) خلق الله الشمس و القمر و سخرهما يجريان بحساب مقنن و تقدير مقدر رحمة بالعباد و عناية بهم و ليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم و ليعرف العباد عدد السنين و الحساب.

كقوله: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: 40]
(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [الأنعام: 96]

(**وَالنَّجْمُ**) ما لا ساق له من النبات

(**وَالشَّجَرُ**) ما له ساق

(**يَسْجُدَانِ**)

نجوم السماء و أشجار الأرض تعرف ربها و تسجد له و تطيع و تخشع و تنقاد لما سخرها له من مصالح عباده و منافعهم 6

(**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا**) سقفها للمخلوقات الأرضية

(**وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**) العدل بين العباد فى الأقوال و الأفعال

* و ليس المراد به الميزان المعروف وحده بل هو كما ذكرنا يدخل فيه الميزان المعروف و المكيال الذى تكال به الأشياء و المقادير و المساحات التى تضبط بها المجهولات و الحقائق التى يفصل بها بين المخلوقات و يقام بها العدل بينهم

* كقوله (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: 25] 9

و لهذا قال: (**أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**) أنزل الله الميزان لئلا تتجاوزوا الحد فى الميزان * فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم لحصل من الخلل ما الله به عليم و لفسدت السماوات

و الأرض 8

(**وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ**) اجعلوه قائما بالعدل الذى تصل إليه مقدرتكم و إمكانكم

(**وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**) لا تنقصوه و تعملوا بضده و هو الجور و الظلم و الطغيان.

كقوله (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) [الشعراء: 182]

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [الإسراء: 35] 9

(**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا**) الله على ما كانت عليه من الكثافة و الاستقرار و اختلاف أوصافها و أحوالها

(**لِلْأَنَامِ**) للخلق لئى يستقروا عليها و تكون لهم مهادا و فراشا يبنون بها و يحرثون و يغرسون و يحفرون

و يسلكون سبلها فجاجا و ينتفعون بمعادنها و جميع ما فيها مما تدعو إليه حاجتهم بل ضرورتهم **10**

***ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية فقال:-**

(فِيهَا فَكْهَةٌ)

جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد من العنب و التين و الرمان و التفاح وغير ذلك

(وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أَوْعِيَّةُ الطَّلْعِ.

وَ هُوَ الَّذِي يَطْلُعُ فِيهِ الْقِنُوتُ ثُمَّ يَنْشَقُّ عَنِ الْعُنُقُودِ فَيَكُونُ بُسْرًا ثُمَّ رُطْبًا ثُمَّ يَنْضَجُ وَ يَتَنَاهَى يَنْعُهُ وَ اسْتَوَاؤُهُ فَتَكُونُ قُوتًا يُوْكَلُ وَ يدخر يتزود منه المقيم و المسافر و فاكهة لذيدة من أحسن الفواكه. ***أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِ وَ نَفَعِهِ رُطْبًا وَ يَابِسًا.**

(وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ) ذو الساق الذي يداس فينتفع بتبته للأنعام و غيرها

و يدخل في ذلك حب البر و الشعير و الذرة و الأرز و الدخن و غير ذلك

(الْعَصْفِ) وَرَقُّ الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه فَهُوَ يُسَمَّى الْعَصْفَ إِذَا يَبَسَ.

(وَالرِّيحَانُ)

***يَحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ بِذَلِكَ جَمِيعُ الْأَرْزَاقِ الَّتِي يَأْكُلُهَا الْآدَمِيُّونَ فَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِ عَلَى الْخَاصِّ**

و يكون الله قد امتن على عباده بالقوت و الرزق عموما و خصوصا

***و يَحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ بِالرِّيحَانِ الرِّيحَانِ الْمَعْرُوفِ وَ أَنَّ اللَّهَ ائْتَمَنَ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَسِرُّهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّوَاثِ**

الطيبة و المشام الفاخرة التي تسر الأرواح و تنشرح لها النفوس **12**

***و لما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار و البصائر و كان الخطاب للثقلين الإنس و الجن قررهم**

تعالى بنعمه فقال: **(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا) الدينية و الدنيوية (تَكْذِبَانِ)؟**

***فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله و آلاؤه أن يقر بها و يشكر و يحمد الله عليها.**

***الترمذى -3291 عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةً فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ**

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ) [الرحمن: 13] قَالُوا: لَا بَشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ 13

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ)

من نعمه تعالى على عباده حيث أراهم من آثار قدرته و بديع صنعته أن أبا الإنس و هو آدم عليه السلام

(مِنْ صَلَاصِلِ) من طين مبلول قد أحكم به و أتقن حتى جف **(كَالْفَخَّارِ)**

فصار له صلصلة و صوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار **(ليس الصلصال المعروف) 14**

(وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن و هو إبليس اللعين

(من مَارِجٍ مِّن نَّارٍ) لهب النار الصافي أو الذي قد خالطه الدخان

* وهذا يدل على شرف عنصر الآدمى المخلوق من الطين و التراب الذى هو محل الرزانة و الثقل و المنافع

بخلاف عنصر الجان و هو النار التى هي محل الخفة و الطيش و الشر و الفساد

*مسلم-2996 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَ خُلِقَ آدَمُ مِنْ مِّمَّا وَصِفَ لَكُمْ»¹⁵

* و لما بين خلق الثقليين و مادة ذلك و كان ذلك منة منه تعالى على عباده قال: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)¹⁶

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾
 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾
 سَنَفَعُ لَكُمْ إِيَّاهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا
 مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾
 يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَغُصَّاسٍ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾
 فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)

هو ربُّ مشرقى الشمس في الشتاء والصيف و رب مغربيها فيهما و ثناهما هنا لإرادة العموم
 * هو رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر والكواكب النيرة و كل ما غربت عليه و كل ما كانا فيه فهى
 تحت تدبيره و ربوبيته

كقوله (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) [المعارج: 40] (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) [المزمل: 9] 17
 * وَ لَمَّا كَانَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ مَصَالِحُ لِلْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَالَ :-

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 18

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) البحر العذب و البحر المالح فهما (يَلْتَقِيَانِ)

كلاهما فيصب العذب فى البحر المالح و يختلطان و يمتزجان ﴿١٩﴾

و لكن الله جعل بينهما (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) من الأرض (لَا يَبْغِيَانِ) حتى لا يبغي أحدهما على الآخر و يحصل النفع منهما
فالعذب منه يشربون و تشرب أشجارهم و زروعهم

و الملح به يطيب الهواء و يتولد الحوت و السمك و اللؤلؤ و المرجان و يكون مستقرا مسخرا للسفن

كقوله (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: 53]

*لقد أكد القرآن على وجود اختلافات واضحة بين بحار الدنيا ووجود حواجز مائية بينها و عدم طغيان هذه البحار على بعضها على الرغم من اختلاطها و هذا ما تحدث عنه القرآن لنقرأ.....



كلنا يعلم و حتى المنكرون لكلام الله تعالى أن الرسول ﷺ لم يركب البحر و لا مرة واحدة في حياته

فهل يُعقل أن يصف لنا بدقة وجود برزخ وحاجز يفصل بين البحار المختلفة لو لم يكن رسولاً من عند الله تعالى؟

لقد تحدث القرآن عن الحاجز بين البحرين يقول تعالى:-

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ 19 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن] إنه حديث عن بحرين مالحين و الدليل على ذلك أن الآية التالية التي تصف هذين البحرين هي:-

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمن: 22] و المرجان لا يعيش إلا في البحار المالحة.

*و قد ثبت علمياً أن بحار العالم تختلف من حيث تركيب مياهها فلكل بحر خصائص فيزيائية تختلف عن البحر الذي بجانبه من حيث **درجة الحرارة و الملوحة و الكثافة و الأمواج** و غير ذلك حتى نوعية الكائنات الحية في هذا البحر تختلف عن تلك التي تعيش في البحر الآخر.

بل أثبت العلم بشكل قاطع أنه لا توجد قطرة ماء في العالم تشبه القطرة الأخرى تماماً الاختلافات دائمة و هذه صفة وضعها الله تعالى في مخلوقاته ليتفرد بالوحدانية هو سبحانه وتعالى.

و قد التقطت الأقمار الاصطناعية حديثاً صوراً لجميع البحار على الكرة الأرضية و بينت وجود حواجز مائية بين هذه البحار هذه الحواجز تشكل جدراناً منيعة من القوى الميكانيكية تفصل بين البحار فلا يطغى هذا على ذلك.

و تظهر الصور الملتقطة بالأقمار الاصطناعية تمايزاً واضحاً بين بحار الدنيا فلكل بحر خصائص و ميزات يختلف فيها عن غيره

و على الرغم من مرور ملايين السنين لا يطغى هذا البحر على ذاك فسبحان الله!

و نتساءل: من كان يعلم بوجود مثل هذه الحواجز بين البحار؟ **20**

(فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ) **21**

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ) (مَعْرُوفٌ) (وَالْمَرْجَانُ) هُوَ صَعَارُ اللَّؤْلُؤِ وَ قِيلَ: كِبَارُهُ وَ جَيْدُهُ.

وَ قِيلَ: هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ أَحْمَرُ اللَّوْنِ.

*عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:- الْمَرْجَانُ: الْخَرَزُ الْأَحْمَرُ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ: (وَمَنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) [فاطر: 12]

فَاللَّحْمُ مِنْ كُلِّ مِنَ الْأَجَاجِ وَ الْعَذْبِ وَ الْحِلْيَةُ إِمَّا هِيَ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ **22**

*وَ لَمَّا كَانَ اتِّخَاذُ هَذِهِ الْحِلْيَةِ نِعْمَةً عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ امْتَنَّنَ بِهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ:- (فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ)

(وَلَهُ) و سخر تعالى لعباده (الجبور) السفن الجوارى (المنشآت) المصنوعات من قبل الآدميون

التي تمخر (في البحر) و تشقه بإذن الله فتكون من كبرها و عظمها (كأنهم) الجبال العظيمة



*فيركبها الناس و يحملون عليها أمتعتهم و أنواع تجارتهم و غير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم و ضرورتهم

و قد حفظها حافظ السماوات و الأرض و هذه من نعم الله الجليلة (ليست الأعلام بمعنى الرايات) ﴿٢٤﴾

فلذلك قال: (فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبُّكُمْ أَتُكْذِبُونَ) 25

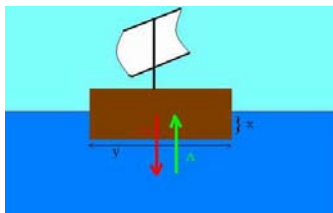
كيف تتم عملية طفو السفينة؟

إذا كان وزن جسم السفينة أقل من وزن الماء المزاح بحجم القسم المغمور منها في الماء فإن كثافة الجسم أقل من كثافة الماء المحيط و بالتالي فإن السفينة ستطفو إلى أن يصبح وزن السفينة مساوياً لوزن الماء المزاح ذلك بسبب أن القوة الناشئة من وزن السفينة أقل من قوة رد فعل الماء الممانعة لها فتطفو على سطح الماء.

*أما إذا كان وزن السفينة أكبر من وزن الماء المزاح الناتج عن المساحة المغمورة من السفينة فإن كثافة السفينة سوف تصبح أكبر من كثافة الماء مما يؤدي إلى غرق الجسم في الماء المحيط بسبب أن قوة وزن السفينة أصبحت أكبر من قوة رد فعل الماء الممانعة لغمر جسم السفينة غير القابل للذوبان أو الانتشار. *أما إذا كانت السفينة مصنوعة من مادة ذات كثافة أعلى من الماء مثل الحديد فإنه باستطاعتها الطفو في حال كان لها شكل مناسب بحيث تحتفظ بحجم كافٍ من الهواء فوق سطحها و في تلك الحالة فإن معدل كثافة السفينة متضمنة الحديد و الهواء سوف تصبح أقل من كثافة السائل و بالتالي فإنها تطفو.

توازن السفينة:-

أما قانون التوازن فيقضى بأن السفينة يجب أن تتوازن في الماء لكي لا تنقلب. و هناك حالات للتوازن تدرس في ميكانيك السوائل و قد استغرق اكتشاف قوانين هندسة السفن أكثر من مئة سنة! و تبين بأن هناك قوانين دقيقة جداً تتحكم في السفينة أثناء رحلتها. فتصميم السفينة له دور كبير في توازنها و تحملها للمفاجآت. و كذلك نوع المعدن الذي تصنع منه السفينة له دور مهم أيضاً و هناك دور للمحركات و قدرتها على تحمل الأوزان وقدرتها على مواجهة الأمواج. إذن بعد أن تمكن الإنسان من اكتشاف هذه الظواهر و وضع القوانين العلمية لها تم بناء السفن العملاقة والتي يصل ارتفاع بعضها إلى عشرات الأمتار كسفن نقل المسافرين و التي تزيد على عشرة طوابق و التي تشبه الجبال حجماً و بواخر الشحن العملاقة التي تقوم بنقل النفط و حاملات الطائرات. *شكل (2) رسم لسفينة مبسطة يوضح كيف أن القوة التي تمارسها السفينة على الماء بفعل وزنها يقابلها قوة رد فعل من الماء و تسمى قوة أرشميدس و القوتان متساويتان و لذلك تبقى السفينة في حالة توازن و لا تنقلب.



الآن نستعرض هذه القوانين التي سخرها الله لتحفظ توازن السفن على ظهر الماء

حجم الماء الذي يزيحه القارب هو $V = x \cdot y \cdot i$

(هذا إذا اعتبرنا أن القارب هو مكعب الشكل).

و في حالة انعدام ذلك يجب استعمال عملية التكامل لحساب حجم السفينة

و إذا ضربنا هذا الحجم بكثافة الماء فإننا سوف نحصل على وزن الماء $M_w = \rho \cdot V$

و بضرب وزن الماء بثابت الجاذبية و الذي يساوي $g = 9.81$ متراً على مربع الثانية

فإننا نحصل على القوة الممارسة من الماء على السفينة أي القوة المرموز لها ب A في الصورة و هي قوة من الأسفل للأعلى أما القوة G فهي القوة الممارسة من الزورق على الماء.

و إذا كانت A تساوي G فإن السفينة تطفو فوق الماء

*أما إن لم يكن ذلك أي في حالة A أصغر من G

فإن السفينة تغرق Y: طول جزء السفينة المغموس في الماء

I: عرض جزء السفينة المغموس في الماء

X: ارتفاع جزء السفينة المغموس في الماء

Rho: كثافة الماء أو السائل

A: قوة الطفو

شكل (4) يستخدم العلماء اليوم الطرائق الرقمية المعقدة في تصميم السفن و بالتالي هنالك مجموعات شديدة التعقيد من المعادلات و القوانين التي يستخدمها هؤلاء العلماء لإنجاح تصميماتهم هذه القوانين سخرها الله تعالى لنا لنتمكن من تصميم ناجح للسفن.

بالتأكيد كان لفهم هذه الظواهر العلمية بشكل دقيق أبلغ الأثر في التطور التكنولوجي و الطفرة العلمية والاقتصادية التي نشهدها بسبب أجور النقل المنخفضة التي توفرها السفن بالمقارنة مع وسائل النقل الأخرى و يحضرني قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ) [الحج: 65].



*فالله تعالى قد ذلّل لنا ما في الأرض من بحار و مياه و قوانين ومنها السفن شكل(5) سفينة ضخمة للركاب و شحن البضائع وتضم العديد من الطوابق و مئات الغرف وكأننا أمام مدينة مصغرة فسبحان الذي سخر لنا هذه الوسائل المريحة والرخيصة إنها رحمة الله تعالى.

دور الرياح

لقد سخر الله لهذه السفن رياحاً تحركها لتجري و لولا حركة الرياح لبقيت السفن ساكنة على ظهر الماء و هذه نعمة من الله تعالى القائل: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ 33 وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ 33 وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: 12].

*أخي القارئ فكّر معي للحظة! هل هذه القوانين التي أودعها الله تعالى في المياه و التي يسّرت للسفن الجريان على سطحها كانت بمحض المصادفة أم كانت بتقدير عليم خبير عالم بها وعالم بوظيفتها؟
*أما وجه الإعجاز في الآيات: هو الإشارة إلى ظاهرة مهمة جدا و هي جريان السفن الضخمة على سطح الماء وعدم غرقها برغم الحمولة الهائلة على ظهرها و التنبيه أن هذا الجريان إنما هو آية دالة على الله تعالى ومنّة منه سبحانه (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الجاثية: 12].

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) أى من على الأرض من إنس و جن و دواب و سائر المخلوقات (فَإِنْ) يفنى و يموت و يبلى (٦)

(وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ) الحى الذي لا يموت كقوله (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) [القصص: 88] (٧)

(ذُو الْجَلَالِ) ذو العظمة و الكبرياء و المجد الذى يعظم و يبجل و يجل لأجله

(وَالْإِكْرَامِ) الذى هو سعة الفضل و الجود و الداعى لأن يكرم أوليائه و خواص خلقه بأنواع الإكرام

الذى يكرمه أولياؤه و يجلولونه و يعظمونه و يحبونه و ينيبون إليه و يعبدونه
*هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلََّ فَلَا يُعْصَى وَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفُ هَوْلِهِ:-

(وَاضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الْكَهْف:28])

وَ كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمُتَصَدِّقِينَ: (إِنَّمَا نُنْظِعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) [الْإِنْسَان:9] (٢٨)

*وَلَمَّا أَخْبَرَ عَنْ تَسَاوِي أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فِي الْوَفَاةِ وَأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ فَيَحْكُمُ فِيهِمْ ذُو

الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ قَالَ:- (فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 29

البقاء لله وحده 26-30

(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هو الغرى بذاته عن جميع مخلوقاته و هو واسع الجود و الكرم

فكل الخلق مفتقرون إليه يسألونه جميع حوائجهم بحالهم و مقالهم و لا يستغنون عنه طرفة عين

(كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) يغرى فقيرا و يجبر كسيرا و يعطى قوما و يمنع آخرين و يميت و يحيى و يرفع و يخفض

لا يشغله شأن عن شأن و لا تغلظه المسائل و لا يبرمه إلحاح الملحين و لا طول مسألة السائلين

*فسبحان الكريم الوهاب الذى عمت مواهبه أهل الأرض و السماوات و عم لطفه جميع الخلق فى كل الآنات

و اللحظات و تعالى الذى لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين و لا استغناء الفقراء الجاهلين به و بكرمه

و هذه الشئون التى أخبر أنه تعالى كل يوم هو فى شأن هى تقاديره و تدابيرها التى قدرها فى الأزل و قضائها

لا يزال تعالى يمضيها و ينفذها فى أوقاتها التى اقتضته حكمته و هى أحكامه الدينية التى هى الأمر و النهى

و القدرية التى يجريها على عباده مدة مقامهم فى هذه الدار

*حتى إذا تمت هذه الخليفة و أفناهم الله تعالى و أراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء و يريهم من عدله

و فضله و كثرة إحسانهما به يعرفونه و يوحدونه نقل المكلفين من دار الابتلاء و الامتحان إلى دار الحيوان

و فرغ حينئذ لتنفيذ هذه الأحكام التى جاء وقتها (٢٩)

(فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 30

و هو المراد بقوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سَنَقْضِي لَكُمْ حسابكم و مجازاتكم بأعمالكم

(آيَةُ الثَّقَلَيْنِ) التى عملتموها فى دار الدنيا.

*وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ وَ لَيْسَ بِاللَّهِ شُغْلٌ وَ هُوَ فَارِغٌ وَ قَالَ فَتَادَةٌ: قَدْ دَنَا مِنَ اللَّهِ فَارَغٌ لِحَلْفِهِ.

وَ قَالَ الْبُخَارِيُّ: سَنَحَاسِبُكُمْ لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ وَ هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ

يُقَالُ "لَا تَفْرَغَنَّ لَكَ" وَ مَا بِهِ شُغْلٌ يَقُولُ:- لَأَخْذَنَّكَ عَلَى غِرَّتِكَ

عجز الثقلين أمام قدرة الله 31-36

(آيَةُ الثَّقَلَيْنِ) الانس و الجن

*البخارى-1338..... ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ

(من ملائكة و غيرهم) إِلَّا الثَّقَلَيْنِ (الانس و الجن سموا بذلك لثقلهم على الأرض) 31

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 32

*إذا جمعهم الله ففى موقف القيامة أخبرهم بعجزهم و ضعفهم و كمال سلطانه و نفوذ مشيئته و قدرته فقال

معجزا لهم:- (يَمَعْشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله و سلطانه

(فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ) لا تخرجون عنه (إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة و تسلط منكم و كمال قدرة

و أنى لهم ذلك و هم لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا!؟

ففى ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه و لا تسمع إلا همسا

و ففى ذلك الموقف يستوى الملوك و الممالك و الرؤساء و المرءوسون و الأغنياء و الفقراء

*ثبت حتى الآن ضامة المجهودات و الطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض

و حيث اقتضي النجاح الجزئى فى زيادة الفضاء- لمدة محددة جدا بالنسبة لعظم الكون - بذل الكثير من

الجهود العلمية الضخمة فى شتى الميادين ... فضلا عن التكاليف المادية الخيالية التى انفقت فى ذلك

و مازالت تنفق و يدل ذلك دلالة قاطعة على ان النفاذ المطلق من اقطار السماوات و الأرض التى تبلغ

ملايين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل

الدلالة العلمية لقول الحق (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون

إلا بسلطان 33 فبأى آلاء ربكما تكذبان 34 يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) الرحمن

هذه الآيات الثلاث التى تحدى القرآن الكريم فيها كلا من الجن و الإنسن تحديا صريحا بعجزهم عن النفاذ

من أقطار السماوات والأرض و هو تحد يظهر ضالة قدراتهما مجتمعين أمام طلاقة القدرة الالهية فى إبداع

الكون لضخامة أبعاده و لقصر عمر المخلوقات و حتمية فنائها

و الآيات بالإضافة إلى ذلك تحوى عددا من الحقائق الكونية المبهرة التى لم يستطع الإنسان إدراكها إلا

فى العقود القليلة المتأخرة من القرن العشرين و التى يمكن إيجازها فى النقاط التالية:

أولا- بالنسبة للنفاذ من أقطار الأرض:-

إذا كان المقصود من هذه الآيات الكريمة إشعار كل من الجن و الإنس بعجزهما عن النفاذ من اقطار كل

من الأرض على حدة و السماوات على حدة فإن المعارف الحديثة تؤكد ذلك لأن اقطار الأرض تتراوح بين

(12756) كم بالنسبة إلى متوسط قطرها الاستوائى (12713) كم بالنسبة إلى متوسط قطرها القطبى

و ذلك لأن الأرض ليست تامة الاستدارة لانبعاجها قليلا عند خط الاستواء و تفلطحها قليلا عند القطبين.

و يستحيل على الإنسان اختراق الأرض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط و الحرارة باستمرار فى اتجاه

المركز مما لا تطيقه القدرة البشرية و لا التقنيات المتقدمة التى حققها إنسان هذا العصر

فعلى الرغم من التطور المذهل فى تقنيات حفر الآبار العميقة التى طورها الإنسان بحثا عن النفط و الغاز

الطبيعى فإن هذه الاجهزة العملاقة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق 14 كم من الغلاف الصخرى للأرض

و هذا يمثل 02% تقريبا من طول نصف قطر الأرض الاستوائى

و عند هذا العمق تعجز أدوات الحفر عن الاستمرار فى عملها لتزايد الضغط و للارتفاع الكبير فى درجات

الحرارة إلى درجة قد تؤدى إلى صهر تلك الادوات

فمن الثابت علميا أن درجة الحرارة تزداد باستمرار من سطح الأرض في اتجاه مركزها حتى تصل إلى ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس المقدرة بستة آلاف درجة مئوية حسب بعض التقديرات و من هنا كان عجز الإنسان عن الوصول إلى تلك المناطق الفائقة الحرارة و الضغط و في ذلك يقول الحق مخاطبا الإنسان (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) (الإسراء:37) *و لو أن الجن عالم غيبي بالنسبة لنا إلا أن ما ينطبق علي الإنس من عجز تام عن النفاذ من أقطار السماوات و الأرض ينطبق عليهم.

*و الآيات الكريمة قد جاءت في مقام التشبيه بأن كلا من الجن و الإنس لا يستطيع الهروب من قدر الله أو الفرار من قضائه بالهروب إلي خارج الكون عبر اقطار السماوات و الأرض حيث لا يدري أحد ماذا بعد ذلك إلا أن العلوم المكتسبة قد اثبتت بالفعل عجز الإنسان عجزا كاملا عن ذلك و القرآن يقص عن الجن فقال (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) (الجن:8) و اعترفوا بالعجز الكامل فقالوا (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) (الجن:12)

ثانيا: بالنسبة للنفاذ من أقطار السماوات:-

تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن مما يشعر كلا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون و بعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه ... أو النفاذ إلى المجهول من بعده ... !!!

فمجرتنا (سكة التبانة) يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية

(9.5*100.000 مليون مليون كيلو متر تقريبا) و يقدر قطرها الأصغر بعشرة آلاف سنة ضوئية (9.5*10.000 مليون مليون كيلو متر تقريبا)

ومعنى ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلى وسيلة تحركه بسرعة الضوء (و هذا مستحيل) ليستخدمها في حركة مستمرة لمدة تصل إلي عشرة آلاف سنة من سنواتنا و بطاقة انفلات خيالية لتخرجه من نطاق جاذبية الأجرام التي يمر بها من مكونات تلك المجرة و هذه كلها من المستحيلات بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره في المتوسط خمسين سنة و لم تتجاوز حركته في السماء ثانية ضوئية واحدة و ربع الثانية فقط و هي المسافة بين الأرض والقمر على الرغم من التقدم التقني المذهل الذي حققه في ريادة السماء.

*و مجموعتنا الشمسية تقع من مجرتنا علي بعد ثلاثين ألفا من السنين الضوئية من مركزها و عشرين ألفا من السنين الضوئية من أقرب أطرافها

*فإذا حاول الإنسان الخروج من أقرب الأقطار إلى الأرض فإنه يحتاج إلي عشرين ألف سنة

و هو يتحرك بسرعة الضوء لكي يخرج من أقطار مجرتنا و هل يطيق الإنسان ذلك؟

أو هل يمكن أن يحيا إنسان لمثل تلك المدد المتطاولة؟

و هل يستطيع الإنسان أن يتحرك بسرعة الضوء؟

كل هذه حواجز تحول دون إمكان ذلك بالنسبة للإنسان وما ينطبق عليه ينطبق على عالم الجان ... !!!

ومجرتنا جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين و ربع المليون من السنين الضوئية (3.261.500) سنة ضوئية و هذه بدورها تشكل جزءا من حشد مجرى يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين و نصف المليون من السنين الضوئية (6.523.000) سنة ضوئية وهذا الحشد المجري يكون جزءا من الحشد المجري الأعظم

*و يقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية.
و تبدو الحشود المجرية العظمى على هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية تقدر أبعادها في حدود
150*100*15 سنة ضوئية

*و أكبر تلك الشرائح ويسمىها الفلكيون مجازا باسم الحائط العظيم يزيد طولها على مائتين وخمسين مليونا من السنين الضوئية.

و قد تم أخيرا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمى تكون تجمعاً أعظم على هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية.

و الجزء المدرك من الكون و هو يمثل جزءا يسيرا من السماء الدنيا التي زينها ربنا بالنجوم

و قال (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير) (المك:5).

هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره على العشرين بليون سنة ضوئية

و هى حقائق تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاءلاً شديداً أمام أبعاد الكون المذهلة و كذلك الجان و كلاهما أقل من مجرد التفكير في إمكان الهروب من ملك الله الذى لا ملجأ و لا منجى منه إلا إليه...!!!

ثالثاً: بالنسبة للنفاذ من أقطار السماوات والأرض معا:

تشير الآيات الكريمة إلى أن التحدى الذى تجابه به الجن و الإنس هو النفاذ من أقطار السماوات والأرض معا إن استطاعوا و ثبت عجزهما عن النفاذ من أقطار أى منهما و عجزهما أشد إذا كانت المطالبة بالنفاذ من أقطارهما معا إذا كان هذا هو مقصود الآيات الكريمة

فإنه يمكن أن يشير إلى معنى فى غاية الأهمية ألا و هو توسط الأرض للكون و هو معنى لا تستطيع علوم الفلك إثباته لعجز الإنسان عن الإحاطة بأبعاد الكون و لكن يدعم هذا الاستنتاج من رواية قتادة قال: "ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟

قالوا: الله و رسوله أعلم قال: فإنه مسجد فى السماء تحته الكعبة لو خر لخر عليها ... "الصحيحة 477

و توسط الأرض للكون معنى حارت فيه عقول العلماء و المفكرين عبر التاريخ.

و عجزت العلوم المكتسبة والتقنيات الفائقة عن إثباته و لكن ما جاء فى هذه الآيات الكريمة

و فى هذا الحديث النبوى الشريف يشير إليه و يجعل المنطق السوى يقبله **33**

(فَبِآيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ) **34**

*ثم ذكر ما أعد لهم فى ذلك الموقف العظيم فقال:-

(رُسُلٌ عَلَيْكُمُ اشْوَابٌ) لهب صاف (مِّن نَّارٍ)

(وَنُحَاسٌ) هو ال لهب الذى قد خالطه الدخان

و المعنى أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن و الإنس و يحيطان بكما

(فَلَا تَنْصِرَانِ) لا بناصر من أنفسكم و لا بأحد ينصركم من دون الله **35**

* و لما كان تخويله لعباده نعمة منه عليهم و سوطا يسوقهم به إلى أعلى المطالب و أشرف المواهب امتن

عليهم فقال:- (فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكُمْ كَذِبًا) 36

رابعاً: بالنسبة إلى إرسال شواظ من نار و نحاس:-

على كل من يحاول النفاذ من أقطار السماوات و الأرض بغير سلطان من الله تعالى:

*النحاس هو فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان ..

و يتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا نحو 1083 درجة مئوية و درجة غليانه الأعلى (2567 م)

فإذا ما صب هذا السائل الملهب علي جسد مثل ذلك صنفا من اقصى أنواع العذاب ألما و أشدها أثرا

*و من الثابت علميا أن العناصر المعروفة لنا تتخلق في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي لنوى ذرات

الهيدروجين فينتج عن ذلك نوى ذرات العناصر الأثقل بالتدريج حتى يتحول لب النجم إلى حديد.

و التفاعل النووي قبل تكون ذرات الحديد هو تفاعل منتج للحرارة التي تصل إلى بلايين الدرجات المئوية

و لكن عملية الاندماج النووي المنتجة للحديد عملية مستهلكة للحرارة

و بالتالي لطاقة النجم حتى تضطره إلى الانفجار مما يؤدي إلى تناثر العناصر التي تكونت بداخله بما فيها

الحديد في صفحة السماء لتدخل هذه العناصر في مجال جاذبية أجرام تحتاج إليها بتقدير من الله تعالى.

*أما العناصر ذات النوى الأثقل من ذرة الحديد فتتخلق بإضافة اللبنة الأولية للمادة إلي نوى ذرات

الحديد السابحة في صفحة السماء حتى تتكون بقية المائة و خمسة من العناصر المعروفة لنا

و هذه أيضا تنزل إلي جميع أجرام السماء بقدر معلوم.

*و لما كان عنصر النحاس أعلى من الحديد في كل من وزنه و عدده الذري

(الوزن الذري لنظائر الحديد 54 - 56 - 57 و الوزن الذري للنحاس 63.5 46

و العدد الذري للحديد 26 بينما العدد الذري للنحاس 29)

و بناء على ذلك فإن عنصر النحاس يتخلق في صفحة السماء الدنيا باندماج نوى ذرات الحديد مع بعض

اللبنة الأولية للمادة و هذا يجعل صفحة السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة و منها النحاس.

*هذه الملاحظة تشير إلى أن لفظة نحاس في الآية الكريمة تعني فلز النحاس لأن التأويل هنا لا داعي له على

الإطلاق فالنحاس و هو منصهر و تغلي قطراته في صفحة السماء يعد عقابا رادعا لكل محاولة إنسيه أو

جنه لاختراق أقطار السماوات والأرض

*و قد اتصل بي أخ كريم هو الدكتور عبد الله الشهابي

و أخبرني بأنه زار معرض الفضاء والطيران في مدينة واشنطن دي سي

الذي يعرض نماذج الطائرات من بداياتها الأولى إلى أحدثها

كما يعرض نماذج لمركبات الفضاء و في المعرض شاهد قطاعا عرضيا في

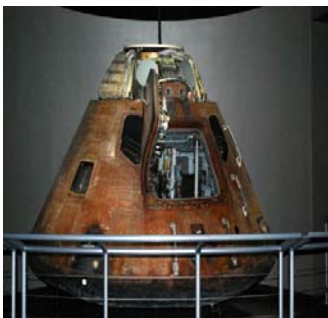
كبسولة أبواللو و أذهله أن يرى على سطحها خطوطا طويلة عديدة غائرة في جسم الكبسولة و مليئة

بكربونات النحاس(جنزار النحاس)

و قد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلى المسئول العلمي عن تلك الصالة و سأله:-

هل السبيكة التي صنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس؟

فنفي ذلك نفيا قاطعا فأشار إلى جنزار النحاس على جسم الكبسولة و سأله: من أين جاء هذا؟



فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء التي تضرب جسم الكبسولة طوال حركتها صعودا و هبوطا من السماء و حينما تعود إلى الأرض و تمر بطبقات بها الرطوبة و ثاني أكسيد الكربون فإن هذه الذرات النحاسية التي لصقت بجسم الكبسولة تتحول بالتدريج إلى جنزار النحاس.
*و يقول الدكتور الشهابي إنه على الفور تراءت أمام أنظاره الآية القرآنية الكريمة
*الملاحظة أكدت لي ما ناديته طويلا بأن لفظة نحاس في الآية تعنى فلز النحاس و لا تحتاج إلى أدنى تأويل.

(فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ)

يوم القيامة من شدة الأهوال و كثرة البلبال و ترادف الأوجال فانخسفت شمسها و قمرها و انتشرت نجومها

(فَكَانَتْ) من شدة الخوف و الانزعاج

عاقبة المجرمين في الآخرة 37-45

(وَرْدَةٌ كَالِدِّهَانِ) حمراء كلون الورد- كانت كالمهل (خُثَالَةُ الزَيْتِ الْأَسْوَدِ) و الرصاص المذاب ونحوه
*تَذُوبٌ كَمَا يَذُوبُ الدَّرْدِيُّ وَ الْفِضَّةُ فِي السَّبْكِ وَ تَتَلَوْنُ كَمَا تَتَلَوْنُ الْأَصْبَاغُ الَّتِي يُدْهَنُ بِهَا فَتَارَةٌ حَمْرَاءُ وَ صَفْرَاءُ وَ زَرْقَاءُ وَ خَضْرَاءُ وَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ
*ومن العجيب أن يستخدم العلماء مصطلح "العُمَلَقُ الْأَحْمَرُ" كمرحلة من مراحل احتضار النجوم و هنا أتوقف عند إحدى معطيات العلم تتضح منها وجه الإعجاز العلمي في الآية السابقة
هذه الآية تصف لنا انشقاق السماء يوم القيامة بأنها ستكون مثل الوردة ذات الألوان الزاهية و إذا تأملنا هذه الصورة التي التقطها العلماء لانفجار أحد النجوم و عندما رأوه أسموه (الوردة)
نفس التسمية القرآنية وهذا يعني أن هذه الصورة هي صورة مصغرة و دقيقة عن المشهد الذي سنراه يوم القيامة فسبحان الله!



و قد يعترض البعض على هذه الصورة بحجة أن الآية تتحدث عن يوم القيامة
نعم إن الآية الكريمة تتحدث عن انشقاق السماء يوم القيامة
و لكن الله تعالى دائماً يرينا بعض الإشارات الدنيوية التي تثبت صدق كلامه
و صدق وعده فقد حدثنا الله تعالى عن فاكهة الجنة

و لكنه خلق لنا فاكهة في الدنيا لنستطيع أن نتخيل الفاكهة التي وعدنا الله بها يوم القيامة
كذلك حدثنا عن انشقاق السماء و أنها ستتلون بألوان تشبه الوردة و خلق لنا النجوم التي تنفجر و تولد
الألوان الزاهية مثل الوردة المدهنة تماماً.

و لذلك هذه الصورة لا تمثل يوم القيامة بل صورة مصغرة عما سنراه يوم القيامة و الله أعلم **37**

(فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رِيكْمًا يُكْذَّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ) ففي ذلك اليوم

(لَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ) لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس و الجن عن ذنوبهم.

*سؤال استعلام بما وقع لأنه تعالى عالم الغيب و الشهادة و الماضي و المستقبل و يريد أن يجازى العباد بما علمه من أحوالهم و قد جعل لأهل الخير و الشر يوم القيامة علامات يعرفون بها كما قال تعالى:-
(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) *كقوله (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ 35 وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) [المسرات] فَهَذَا فِي حَالٍ
و ثَمَّ حَالٍ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ فِيهَا عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ 92 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجرات]

وَلِهَذِهِ قَالَ قَتَادَةُ:-(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ

قَالَ:-قَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ ثُمَّ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ وَ تَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:-لَا يُسْأَلُهُمْ: هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا وَ كَذَا؟ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَ لَكِنْ يَقُولُ: لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا وَ كَذَا؟ فَهُوَ قَوْلٌ ثَانٍ.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:لَا يُسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمُجْرِمِ يُعْرِفُونَ بِسِيمَاهُمْ. وَ هَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ.

وَ كَانَ هَذَا بَعْدَ مَا يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ بَلْ يُقَادُونَ إِلَيْهَا وَ يُلْقَوْنَ فِيهَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى:(يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ)39 (فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)40

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾
 وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾
 فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾
 مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾
 فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرَفِ لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾
 فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾
 هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
 فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾
 فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾

(يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمَتِهِمْ)

بِعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ- بِأَسْوَدَادِ الْوُجُوهِ وَ زُرْقَةِ الْعُيُونِ
 * وَ هَذَا كَمَا يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغُرَّةِ وَ التَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ

(فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ) أى بنواصي المجرمين و أقدامهم فيلقون فى النار و يسحبون فيها

* و إنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ و تقرير بما وقع منهم و هو أعلم به منهم و لكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق

حجته البالغة و حكمته الجليلة 41

(فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ 42)

يقال للمكذبين بالوعد و الوعيد توبيخاً و تحقيراً لهم حين تسعر الجحيم:-

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ)

فليهنهم تكذيبهم بها و ليدوقوا من عذابها و نكالها و سعيها و أغلالها ما هو جزاء لتكذيبهم 43

(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا) بين أطباق الجحيم و لهبها

(وَبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار جدا- هُوَ الشَّرَابُ الَّذِي هُوَ كَالنُّحَاسِ الْمَذَابِ

* وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:- (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ 7 فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) [غَافِر]

(عَنِ) قد انتهى حره لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ وَ زَمِيرٍ قد اشتد بـرده و قـرهـ

وَ قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ أَنَّى طَبَخُهُ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ: يُؤْخَذُ الْعَبْدُ فَيَحْرُكُ بِنَاصِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ الْحَمِيمِ حَتَّى يَذُوبَ اللَّحْمُ وَ يَبْقَى

الْعَظْمُ وَ الْعَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ. كَقَوْلِهِ:-(فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) وَ هَوْلِهِ:-(غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً) [الأخزاب: 53] اسْتَوَاءٌ 44

* وَ لَمَّا كَانَ مُعَاقِبَةُ الْعُصَاةِ الْمُجْرِمِينَ وَ تَنْعِيمُ الْمُتَّقِينَ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ عَذْلِهِ وَ لُطْفِهِ بِخُلُقِهِ وَ كَانَ
إِنذَارُهُ لَهُمْ عَذَابُهُ وَ بَأْسُهُ مِمَّا يَزْجُرُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَ الْمَعَاصِي وَ غَيْرِ ذَلِكَ قَالَ مُمْتَنًّا بِذَلِكَ عَلَى

بَرِيَّتِهِ: (فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ) 45

وصف جنات النعيم 46-78

و لما ذكر ما يفعل بالمجرمين ذكر جزاء المتقين الخائفين فقال:-

(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) و للذى خاف ربه و قيامه عليه فترك ما نهى عنه و فعل ما أمره به له (جَنَّاتٍ)

من ذهب آنيتهما و حليتهما و بنيانهما و ما فيهما إحدى الجنتين:-

جزاء على ترك المنهيات

و الأخرى على فعل الطاعات.

* البخارى 4878- عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

«جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيتُهُمَا وَ مَا فِيهِمَا وَ جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيتُهُمَا (أوعيتهما) وَ مَا فِيهِمَا (من الأشياء التي يرتفق بها).

وَ مَا بَيْنَ الْقَوْمِ (المسلمون الذين دخلوا الجنة) وَ بَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ

(إقامة و استقرار واطمئنان)

* وَ هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ فَهِيَ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِذَا آمَنُوا وَ اتَّقَوْا

وَ لِهَذَا آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الْجَزَاءِ فَقَالَ:- (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ)

* كَقَوْلِهِ (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) [النازعات: 40] 47

* و من أوصاف تلك الجنتين أنهما (ذَرَانَا أَفْنَانٍ) أَغْصَانٍ نَضْرَةِ حَسَنَةٍ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَضِيجَةٍ فَائِقَةٍ-أنواع

* أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر و الباطن :-

ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر أن فيهما الأشجار الكثيرة الزاهرة ذوات الغصون

الناعمة التي فيها الثمار اللبنة الكثيرة اللذيذ 48

(فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ) 49

و في تلك الجنتين (فيهما عينان تجريان)

يفجرونها على ما يشتهون-احدهما يقال لها تسنيم و الاخرى سلبيل

(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) [المطففين: 27] (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) [الإنسان: 18] 50

(فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ) 51

(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ) من جميع أصناف الفواكه

(نَوَاجِنَ) صنفان كل صنف له لذة و لون ليس للنوع الآخر 52

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 53

(مُتَّكِئِينَ)

مضطجعين و يقال الجلوس على هيئة التربع هذه صفة فرش أهل الجنة و جلوسهم عليها جلوس:-
تمكن و استقرار و راحة كجلوس من الملوك على الأسرة. و تلك الفرش لا يعلم وصفها و حسننها إلا الله

(عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا) حتى إن بطائنها التي تلى الأرض منها

(مَنْ أَسْتَبْرَقَ) و هو أحسن الحرير و أفخره فكيف بظواهرها التي تلى بشرتهم؟!

(وَجَنَى) هو الثمر المستوى و ثمر هاتين الجنة (الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) قريب التناول يناله القائم و القاعد و المضطجع.

*كقوله (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) [الحاقة: 23] (وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) [الإنسان: 14] لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط

اليه من اغطائها 54

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 55

(فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ)

قد قصرن طرفهن على أزواجهن من حسنهم و جمالهم و كمال محبتهم لهم

و قصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن من حسنهن و جمالهن و لذة و صالهن

(لَمْ يَطْمِئِنَّ) ينلن

يقال للحيض (طمث) ثم أطلق على جماع الأبقار لما فيه من خروج الدم. ثم عمّ كل جماع (محاسن التاويل)

(إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)

بل هن أبكار عرب متحبات إلى أزواجهن بحسن التبعل و التغنج و الملاحاة و الدلال 56

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 57

و لهذا قال :- (كَأَنَّهُنَّ) في صفائهن و جمال منظرهن و بهائهن في صفاء (الْيَاقُوتِ) وَ بَيَاضِ (وَالْمَرْجَانِ)

فَجَعَلُوا الْمَرْجَانَ هَا هُنَا اللَّوْثُ.

مسلم - (2834) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَ لَا يَمْتَخِطُونَ وَ لَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا

أَنِيْتُهُمْ وَ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ مَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ (العود الذي يتبخر به العود الهندي)

وَ رَشْحُهُمْ (عرقهم) الْمِسْكُ

وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَىٰ مُحْ سَاقِيَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»

*البخارى 2796 - قَالَ: وَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:-

«لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ عَذْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ

(مقدار قيد و هو السوط المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ) -يَعْنِي سَوَطُهُ -خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا (ما بين السماء والأرض) وَ لَمَلَأَتْهُ رِيحًا

وَلَنَصِيفُهَا (خمارها وهو ما يغطي به الرأس) عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» 58

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 59

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ) هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق و نفع عبيده

(إِلَّا الْإِحْسَنُ) (إِلَّا أَنْ يَحْسَنَ إِلَيْهِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَ الْفَوْزِ الْكَبِيرِ وَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَ الْعَيْشِ السَّلِيمِ

فَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ الْعَالِيَتَانِ لِلْمُقَرَّبِينَ. كَقَوْلِهِ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [يونس: 26] 60

* وَ لَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذُكِرَ نِعْمٌ عَظِيمَةٌ لَا يُقَاوِمُهَا عَمَلٌ بَلْ مُجَرَّدُ تَفَضُّلٍ وَ امْتِنَانٍ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ:-

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 61

(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) من فضة بنيانهما و آنيتهما و حليتهما و ما فيهما لأصحاب اليمين.

* هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَ الْفَضِيلَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-

(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) وَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ:-

جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَ مَا فِيهِمَا

وَ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَ مَا فِيهِمَا

فَالْأُولَيَانِ لِلْمُقَرَّبِينَ وَ الْآخِرَيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ 62

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 63

و تلك الجنتان (مُدَاهَمَتَانِ) سوداوان من شدة الحضرة التي هي أثر الرى 64

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 65

(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ) فوارتان-فياضتان و الجرى اقوى من النضخ 66

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) 67

.....

فِيهِمَا فَتِكُهُمْ ^(٦٨) وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ ^(٦٩) فَإِذَا رَئَاكَ تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ ^(٧٠) فَيَنْهَى رِيكُهَا تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ ^(٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ^(٧٢) فَإِذَا رَئَاكَ تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ ^(٧٣) لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ^(٧٤) فَإِذَا رَئَاكَ تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ ^(٧٥) مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانِ ^(٧٦) فَإِذَا رَئَاكَ تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ ^(٧٧)

نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٧٨)

56-سورة الواقعة-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ^(١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ^(٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ^(٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ^(٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ^(٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنً ^(٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ^(٧)

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ^(٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ^(٩)

وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ^(١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ^(١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ^(١٢)

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ^(١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ^(١٤) عَلَى سُرُورٍ مَوْضُونَةٍ ^(١٥) مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا ثَلَاثُ مَلَكٍ ^(١٦)

(فِيهِمَا فَتِكُهُمْ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ) من جميع أصناف الفواكه و أحصاها النخل و الرمان اللذان فيهما من المنافع ما فيهما.

(فَيَنْهَى رِيكُهَا تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ) ^(٦٩)

(فِيهِنَّ) أى فى الجنات كلها (خَيْرَاتٌ) خيرات الأخلاق
الْمُرَادُ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَوْ خَيْرَاتٌ جَمْعُ خَيْرَةٍ وَ هِيَ:- الصَّالِحَةُ الْحَسَنَةُ الْخُلُقُ الْحَسَنَةُ الْوَجْهَ
(حَسَانٌ) الأوجه. فجمعن بين جمال الظاهر و الباطن و حسن الخلق و الخلق 70

(فَيَنْهَى رِيكُهَا تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ) 71

(حُورٌ) بيضاء نقية (مَقْصُورَاتٌ) محبوسات (فِي الْخِيَامِ) أى خيام اللؤلؤ.

قد تهيأن و أعددن أنفسهن لأزواجهن و لا ينفى ذلك خروجهن فى البساتين و رياض الجنة كما جرت العادة
لبنات الملوك و نحوهن المخدرات الخفريات.

*البخارى -3243 عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-
«الْخَيْمَةُ (بيت مربع من بيوت العرب) دُرَّةٌ (لؤلؤة) مُجَوَّفَةٌ (مثقوبة ومفرغ داخلها) طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلًا [طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا] مُسَلَّمٌ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ (ناحية) مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ (زوجة) لَا يَرَاهُمْ الْآخَرُونَ»

لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا [مُسَلَّمٌ 2838 72

(فَيَنْهَى رِيكُهَا تَبْكُ الْآلَاءُ رِيكُهَا تُكْذِبَانِ) 73

(لَمْ يَطْمِئِنُّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) 74 (فِي أَيِّ آءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ) 75

* أصحاب هاتين الجنتين (مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرِفٍ)

وسائد ذوات أغطية-الرَّفْرِفُ عَلَى السَّرِيرِ كَهَيْئَةِ الْمَحَابِسِ الْمُتَدَلَّى (خُضْرٍ)

(وَعَبْقَرِيٍّ) فَوْشٌ بديعة نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا (حَسَانٍ) فائقة الصنع في غاية الحسن.

ولهذا وصفها بالحسن الشامل لحسن الصنعة و حسن المنظر و نعومة الملمس

* بسط أهل الجنة-كُلُّ شَيْءٍ يَسُرُّ مِنَ الرِّجَالِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ يُسَمَّى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيًّا.

وَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمَرَ فِي الْبَخَارِيِّ 3664 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: - سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ وَ فِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَ اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ

النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ 76 (فِي أَيِّ آءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ) 77

* ولما ذكر سعة فضله و إحسانه قال: (بَبَرَكَةٍ) تعاضم و كثر خيره

(أَسْمُ رَيْكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) له الجلال الباهر و المجد الكامل و الإكرام لأوليائه.

* هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلََّ فَلَا يُعْصَى وَ أَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ وَ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ وَ أَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى.

* الترمذى -3525 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:- (أَلِظُوا (أَلِظُوا) بَيَّا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ)

* مسلم-591 عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَ قَالَ:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَ مِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» 78

شرف الاولين	الآية	شرف الآخرين	الآية
الجنة معدتان للمقربين من:- 1-الأنبياء2-و الصديقين3-و خواص عباد الله الصالحين		و الآخرين معدتان لعموم المؤمنين	
(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ) *و الدليل على شرف الأوليين على الآخرين وجوه:- 1-نعمه الأولين قبل هاتين و التقديم يدل على الإغتناء	46	2-ثُمَّ قَالَ (وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جِئْتَانِ) و هَذَا ظَاهِرٌ فِي شَرَفِ التَّقْدِيمِ وَ عُلُوِّهِ عَلَى الثَّانِي.	62
(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) الاغصان أو الانواع فى الملاذ	48	(مُدْهَامَتَانِ) سوداوان من شدة الرى	64
(فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ)الجرى أقوى من النضخ	50	(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ) ممتلئتان و لا تنقطعان	66
(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) *وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَوَّلَى أَعْمُ وَأَكْثَرُ فِي الْأَفْرَادِ وَالتَّنَوُّعِ عَلَى فَاكِهَةٍ وَ هِيَ نِكَرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعْمُ	52	(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ) و لِهَذَا فَسَّرَ قَوْلُهُ: (وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ) مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ كَمَا قَرَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ وَإِنَّمَا أُفْرِدَ النَّخْلَ وَالرُّمَانَ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا	68
(مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) مدح الباطن فما بالك بالظاهر	54	(مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ)	76
(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّتِي قَدْ قَصُرَتْ طَرْفُهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ قُصِرَتْ وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُخَدَّرَاتٍ	56	(فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حِسَانٍ)	70
.....		(حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)	72
(لَمْ يَطْمِئْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)	56	(لَمْ يَطْمِئْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)	74
(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ)	58		
(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ وَ هُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَ النِّهَايَاتِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ	60	
(جَنَّاثٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) [فاطر: 33]		(عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) [الإنسان: 21]	

و فى كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و فيهن ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين و أهلها فى غاية الراحة و الرضا و الطمأنينة و حسن المأوى حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه و لا أعلى من نعيمه الذى هو فيه .

56-تفسير سورة الواقعة-و هى مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

* أحمد 20995 - عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَنَحْوِ مَنْ صَلَاتِكُمْ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ وَ لَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخَفَّ مِنْ صَلَاتِكُمْ وَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَ نَحْوَهَا مِنَ السُّورِ "

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) كقوله (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) [الحاقة: 15]

اهوال القيامة 1-14

يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها و هى القيامة 1

التي (لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ)

لا شك فيها لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية- و السمعية و دلت عليها حكمته تعالى **2**

(**خَافِضَةً**) لأناس في أسفل سافلين

(**رَافِعَةً**) لأناس في أعلى عليين أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب و رفعت فأسمعت البعيد **3**

(**إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا**) حُرِكت و اضطربت.

كقوله (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) [الزلزلة: 1] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) [الحج: 1] **4**

(**وَبُسَّتِ**) فستت (**الْجِبَالُ بَسًا**) كقوله (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا) [المزمل: 14]

(**فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا**) فأصبحت الأرض ليس عليها جبل و لا معلم قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا.

* كقوله (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) [المعارج] (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا 10 فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا 10

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) [طه] **6**

(**وَكُنْتُمْ**) أيها الخلق (**أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً**) انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة و السيئة **7**

ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة

* كقوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) [فاطر: 32] و ذكر الله في نهاية السورة وقت احتضارهم فقال:-

(**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**) تعظيم لشأنهم و تفخيم لأحوالهم **8**

(**وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**) أي: الشمال (**مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**) تهويل لحالهم **9**

1- (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**) السابقون في الدنيا إلى الخيرات (١٠)

(**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**) الذين هذا وصفهم المقربون عند الله **11**

(**فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ**) في أعلى عليين في المنازل العاليات التي لا منزلة فوقها.

* كقوله (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: 133]

الجزء من جنس العمل فكما سارعوا للخير كانوا في الآخرة من السابقين للكرامة **12**

* و هؤلاء المذكورون (**ثَلَاثَةٌ**) جماعة كثيرون (**مِنَ الْأَوَّلِينَ**) المتقدمين من هذه الأمة و غيرهم.

* مسلم (2533) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

"خَيْرُ أُمَّتِي الْقُرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَ يَمِينُهُ شَهَادَتُهُ"

* البخارى عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

عُرِضَتْ عَلَى الْأَمَمِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَ النَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ (ما دون العشرة من الرجال وقيل إلى الأربعين)
و النَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ (ظهر) لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟
قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَ قَوْمُهُ قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأَفْقَ ثُمَّ قِيلَ لِي:-
انْظُرْ هَا هُنَا وَ هَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ
وَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ

ثُمَّ دَخَلَ وَ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ (لم يبين لأصحابه من هم السبعون ألفا) فَأَقَاضَ الْقَوْمُ (اندفع بالحديث) وَ قَالُوا:-
نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَتَحَنُّ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وَلِدُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ:- «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ» (لا يفعلون الرقية اعتمادا كليا على الله عز وجل) وَ لَا يَتَطَيَّرُونَ
(لا يتشاءمون بالطيور) وَ لَا يَكْتَوُونَ (لا يتداوون بالكي) وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (يفوضون الأمر إليه تعالى و إن تعاطوا الأسباب) «
فَقَالَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟

قَالَ:- «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ» (سبق إلى الفوز بتلك المنزلة إذ طلبها مندفعاً وليس مقلداً) 13

(وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) و هذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها !

لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين. و المقربون هم خواص الخلق ﴿١٦﴾

نعيم أصحاب النعيم 15-26

(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ)

مرمولة-منسوجة بالذهب و الفضة و اللؤلؤ و الجوهر و غير ذلك من الحلى الزينة التي لا يعلمها إلا الله ﴿١٥﴾

(مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا) أى على تلك السرر جلوس تمكن و طمأنينة و راحة و استقرار.

(مُتَقَابِلِينَ) وجه كل منهم إلى وجه صاحبه من صفاء قلوبهم و حسن أدبهم و تقابل قلوبهم ﴿١٦﴾

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾
 وَفَكَهْمُهُمْ مِمَّا يَتَخَبَّطُونَ فِيهَا ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٢١﴾ وَهُمْ فِيهَا يَخْلَدُونَ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الثَّلَاجِ الَّذِي لَا يَمُوتُ
 جَرَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾
 وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾
 وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْمُهُمْ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾
 إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُمْ نَجَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾
 ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾
 فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ تَحْتِهِمْ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾
 وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
 أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

(يَطُوفُ) يدور (عَلَيْهِمْ) على أهل الجنة لخدمة و قضاء حوائجهم (وَلَدَنٌ) صغار الأسنان في غاية الحسن كقوله (كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) أى: مستور لا يناله ما يغيره .

(مُخَلَّدُونَ) مخلوقون للبقاء و الخلد لا يهرمون و لا يتغيرون و لا يزيدون على أسنانهم 17

و يدورون عليهم بآنية شرايبهم (بِأَكْوَابٍ) و هى التى لا عرى لها

(وَأَبَارِيقَ) الأوانى التى لها عرى

(وَكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) خمر لذيذ المشرب لا آفة فيها.

* (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ 45 بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ 46 لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ [المصافات] 18

(لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) لا تصدعهم رءوسهم كما تصدع خمر الدنيا رأس شاربها.

(وَلَا يُنْزَفُونَ) لا تنزف عقولهم و لا تذهب أحلامهم منها كما يكون لخمر الدنيا. يقال نزف الشارب و أنزف إذا ذهب عقله بالسكر.

والحاصل أن جميع ما فى الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه فى الدنيا لا يوجد فى الجنة فيه آفة كقوله:

(فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) [محمد: 15]

و ذكر هنا خمر الجنة و نفى عنها كل آفة توجد فى الدنيا 19

(**وَفَكَهْمَهُمَا يَتَخَيَّرُونَ**) مهما تخيروا و راق فى أعينهم و اشتتهه نفوسهم من أنواع الفواكه الشهية و الجنى اللذيذ حصل لهم على أكمل وجه و أحسنه **20**

(**وَلَحَرِ طَيْرُهُمَا يَشْتَهُونَ**)

من كل صنف من الطيور يشتهونه و من أى جنس من لحمه أرادوا و إن شاءوا مشويا أو طيخا أو غير ذلك **21**

(**وَحُورٌ عَيْنٌ**) و لهم حور عين

و **الحوراء**: التى فى عينها كحل و ملاحه و حسن و بهاء

و **العين**: حسان الأعين و ضخامها . و حسن العين فى الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها و جمالها **22**

(**كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**)

كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافى البهى المستور عن الأعين و الريح و الشمس الذى يكون لونه من أحسن الألوان الذى لا عيب فيه بوجه من الوجوه فكذلك الحور العين لا عيب فيهن بوجه

* بل هن كاملات الأوصاف جميلات النعوت كقوله (**كَأَنَّهُنَّ بَيَاضُ مَكْنُونٌ**) [الصافات: 49]

* فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر خاطر و يروق الناظر **23**

و ذلك النعيم المعد لهم (**جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)

فكما حسنت منهم الأعمال أحسن الله لهم الجزاء و وفر لهم الفوز و النعيم **24**

(**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا**) أى فى جنات النعيم (**لَغَوًّا**) كلاما يلغى و لا يكون فيه فائدة كقوله (**لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعِيَّةً**) [الغاشية: 11]

(**وَلَا تَأْتِيهَا**) و لا كلاما يؤثم صاحبه- كلام فيه قبح **25**

(**إِلَّا فِي لَأَسْلَمَا سَلَامًا**) إلا كلاما طيبا كقوله (**وَنَحْنُ فِيهَا سَلَامٌ**) [يونس: 10]

و ذلك لأنها دار الطيبين و لا يكون فيها إلا كل طيب

و هذا دليل على حسن أدب أهل الجنة فى خطابهم فيما بينهم و أنه أطيب كلام و أسره للنفوس و أسلمه

أصحاب اليمين 27-40

من كل لغو و إثم نسأل الله من فضله **26**

* ثم ذكر نعيم أصحاب اليمين فقال: (**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**) شأنهم عظيم و حالهم جسيم.

* وَ قَوْلُهُ: (لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ) أَي: خُلِقْنَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ أَوْ: ادْخَرْنَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ أَوْ: زُوِّجْنَا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وَ الْأَظْهَرُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً 35 فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارَ 36 غُرْبًا أَثَرَابًا 37 لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ)

فَتَقْدِيرُهُ: أَنْشَأْنَاهُنَّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَ هَذَا تَوْجِيهُ ابْنِ جَرِيرٍ

قُلْتُ: وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ) مُتَعَلِّقًا بِمَا قَبْلَهُ وَ هُوَ قَوْلُهُ:-

(أَثَرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) فِي أَسَانِهِمْ. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ 3327

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطَّيِّبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ عَلَى خَلْقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» **27**

(في سِدْرٍ مَخْضُودٍ) مقطوع ما فيه من الشوك و الأغصان الرديئة المضرة مجعول مكان ذلك الثمر الطيب و للسدر من الخواص:- [الظل الظليل- و راحة الجسم فيه] **28**

(وَطَلِحٍ) موز (مَنْضُورٍ) متراكب بعضه على بعض و هو شجر كبار يكون بالبادية تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ **29**
(وِظَلٍ مَمْدُودٍ)

*البخارى 3252 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ وَ اقْرَءُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ (وِظَلٍ مَمْدُودٍ) [الواقعة: 30]

*البخارى 6553 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ الْجَوَادَ (الفرس البين الجودة) الْمُضْمَرَّ (هو الذي ينقص علفه بعد سمنه لينقص لحمه و يزداد جريه) السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»

(لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) [النساء: 57] **30**

(وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ) كثير من العيون و الأنهار السارحة و المياه المتدفقة لقوله (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) [محمد: 15] **31**

(وَفَكَهَمَهُ كَثِيرَةً) **(٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ** ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع في وقت من الأوقات

(وَلَا مَمْنُوعَةٍ) و تكون ممتعة أى: متعسرة على مبتغيها

بل هي على الدوام موجودة و جناها قريب يتناولها العبد على أى حال يكون.

*البخارى 748 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكَتَ (تأخرت إلى الوراء) قَالَ:

«إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا وَ لَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا» **33**

(وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ) فوق الأسرة ارتفاعا عظيما و تلك الفرش من الحرير و الذهب و اللؤلؤ و ما لا يعلمه إلا الله **34**

(إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً) إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التى كانت فى الدنيا نشأة كاملة لا تقبل الفناء **35**

(فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا) صغارهن و كبارهن. و عموم ذلك يشمل الحور العين و نساء أهل الدنيا

و أن هذا الوصف و هو البكارة- ملازم لهن فى جميع الأحوال **36**

كما أن كونهن (**عُرُبًا أَتْرَابًا**) ملازم لهن في كل حال

و **العروب**: هي المرأة المتحبة إلى بعلها بـ:—

1-حسن لفظها 2-و حسن هيئتها 3-و دلالتها 4-و جمالها 5-و محبتها

*فهي التي إن تكلمت سبت العقول و ود السامع أن كلامها لا ينقضى خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة و النغمات المطربة

*و إن نظر إلى أدبها و سمتها و دلها ملأت قلب بعلها فرحاً و سروراً

*و إن برزت من محل إلى آخر امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً و نوراً و يدخل في ذلك الغنجة عند الجماع

(**أَتْرَابًا**) هن اللاتي على سن واحدة ثلاث و ثلاثين سنة التي هي غاية ما يتمنى و نهاية سن الشباب

*ففساؤهم عرب أتراب متفقات مؤتلفات راضيات مرضيات لا يحزن و لا يحزن بل هن أفراح النفوس و قرة

العيون و جلاء الأبصار **37**

معدات (**لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ**) مهينات **38**

(**ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ** ﴿٣٩﴾ **وَأَلَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ**)

هذا القسم من أصحاب اليمين [عدد كثير من الأولين و عدد كثير من الآخرين] **40**

(**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ**) أصحاب النار و الأعمال المشئومة (**مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**) **41**

أصحاب الشمال 41-56

فذكر الله لهم من العقاب ما هم حقيقون به فأخبر أنهم:-

(**فِي سَمُومٍ**) ريح حارة من حر نار جهنم يأخذ بأنفاسهم و تقلقهم أشد القلق

(**وَحَمِيمٍ**) ماء حار يقطع أمعاءهم **42**

(**وَوَيْلٌ مِّنْ يَّخْمُومٍ**) لهب نار يختلط بدخان-ظل الدخان الاسود **43**

(**لَّا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ**) لا برد فيه و لا كرم

و المقصود أن هناك الهم و الغم و الحزن و الشر الذي لا خير فيه لأن نفى الضد إثبات لـ **44**

*ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال:-

(**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ**) قد ألتهم دنياهم و عملوا لها و تنعموا و تمتعوا بها

فألهاهم الأمل عن إحسان العمل فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه **45**

(**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى اللَّعْنَةِ الْعَظِيمِ**) الشرك أو الكفر بالله و جعل الاوثان و الانداد أرباباً من دون الله

و كانوا يفعلون الذنوب الكبار و لا يتوبون منها و لا يندمون عليها بل يصرون على ما يسخط مولاهم

فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة و كانوا ينكرون البعث **46**

(وَكَاثُرًا يَقُولُونَ) استبعادا لوقوع البعث:

(أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنْ نَا لَمَبْعُوثُونَ) كيف نبعث بعد موتنا و قد بلينا فكنا ترابا و عظاما؟ هذا من المحال **47**

(أَوَّاءَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) **48**

قال تعالى جوابا لهم و ردا عليهم:-(قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)

قل إن متقدم الخلق و متأخرهم الجميع سيبعثهم الله و يجمعهم لميقات يوم معلوم قدره الله لعباده حين تنقضى

الخليقة و يريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف **50**

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَآ الصَّالُونَ الْمُكَذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزِّلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا لَيْتَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ءَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَآ الصَّالُونَ) عن طريق الهدى التابعون لطريق الردى

(الْمُكَذِبُونَ) بالرسول ﷺ و ما جاء به من الحق و الوعد و الوعيد 51

(لَا كُلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ) و هو أقبح الأشجار و أحسها و أنتنها ريحا و أبشعها منظر 52

(فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونَ) و الذى أوجب لهم أكلها - مع ما هى عليه من الشناعة - الجوع المفرط الذى يلتهب فى أكبادهم و تكاد تنقطع منه أفئدتهم.

هذا الطعام الذى يدفعون به الجوع و هو الذى لا يسمن و لا يغنى من جوع 53

(فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهِيمِ) و أما شرابهم فهو بئس الشراب و هو أنهم يشربون (عَلَيْهِ) على هذا الطعام (مِنَ) الماء (الْحَمِيمِ)

الذى يغلى فى البطون 54

(فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهِيمِ) الإبل (الهِيمِ) العطاش التى قد اشتد عطشها - أو داء يصيب الإبل لا تروى معه من شراب الماء 55

(هَذَا) الطعام و الشراب

(نُزِّلُكُمْ) ضيافتهم كما قال فى حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) [الكهف: 107]

أى ضيافة و كرامة (يَوْمَ الدِّينِ)

و هى الضيافة التى قدموها لأنفسهم و آثروها على ضيافة الله لأوليائه.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا) [الكهف: 56]

*ثم ذكر الدليل العقلي على البعث فقال:-

نعم الله الدالة على فضله و قدرته 57-74

(نَحْنُ) الذين (خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً من غير عجز و لا تعب

أفليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيى الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير

و لهذا وبخهم على عدم تصديقهم بالبعث و هم يشاهدون ما هو أعظم منه و أبلغ.

* يَقُولُ تَعَالَى مُقَرَّرًا لِلْمَعَادِ وَ رَدًّا عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الرِّيْغِ وَ الْإِلْحَادِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا:-

(أَيُّدًا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا وَ عِظَامًا أَيُّدًا لَمَبْعُوثُونَ) [الصافات: 16]

وَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ صَدَرَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ وَ الْإِسْتِبْعَادِ فَقَالَ: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) فَلِهَذَا قَالَ:-

(فَلَوْلَا) فَهَلَا (تُصَدِّقُونَ) بِالْبَعْثِ! 57

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) أى ابتداء خلقكم من المرى الذى تمنون ﴿٥٨﴾

(مَا أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) فهل أنتم خالقون ذلك المنى و ما ينشأ منه؟

أم الله تعالى الخالق الذي خلق فيكم من الشهوة و آلتها من الذكر و الأنثى و هدى كلا منهما لما هنالك

و حبيب بين الزوجين و جعل بينهما من المودة و الرحمة ما هو سبب للتناسل.

أى:- أَنْتُمْ تُقَرِّبُونَهُ فِي الْأَرْحَامِ وَ تَخْلُقُونَهُ فِيهَا أَمْ اللَّهُ الْخَالِقُ لِذَلِكَ؟ 59

ثُمَّ قَالَ:- (نَحْنُ قَدَرْنَا) صَرَفْنَا (بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ)

(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ) بِعَاجِزِينَ 60

(عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ) أى:- نُغَيِّرُ خُلُقَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) مِنَ الصِّفَاتِ وَ الْأَحْوَالِ 61

و لهذا أحالهم الله تعالى على الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى فقال:-

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ) القادر على ابتداء خلقكم قادر على إعادتكم.

* قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا فَخَلَقَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ

فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ وَ تَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى هَذِهِ النَّشْأَةِ -و هِيَ الْبَدَاءَةُ- قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى وَ هِيَ:-

الْإِعَادَةُ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَ الْآخَرَى

وَ كَمَا قَالَ: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الرؤم: 27]

وَ قَالَ: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا) [مریم: 67]

وَ قَالَ: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) 7 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ

رَمِيمٌ 88 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس]

وَقَالَ تَعَالَى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى 36 أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى 37 ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى 38 فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى 39 أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟) [القيامة] 31

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) وهذا امتنان منه على عباده يدعوهم به إلى توحيدهِ و عبادته و الإنابة إليه حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع و الثمار فتخرج من ذلك من الأقوات و الأرزاق و الفواكه ما هو من ضروراتهم و حاجاتهم و مصالحهم التي لا يقدرُونَ أن يحصوها فضلا عن شكرها و أداء حقها 63

فقرروهم بمنته فقال:- **(أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهَا؟)** أنتم أخرجتموه نباتا من الأرض؟

(أَمْ تَحْنُ الزَّرْعُونَ) أم أنتم الذين نميتموه؟

أم أنتم الذين أخرجتم سنبله و ثمره حتى صار حبا حصيدا و ثمرا نضيجا؟
أم الله الذي انفرد بذلك وحده و أنعم به عليكم؟

و أنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض و تشقوها و تلقوا فيها البذر 64

*ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك و لا قدرة لكم على أكثر من ذلك و مع ذلك
فبهمهم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله و إبقاؤه لكم بلغة و متاعا إلى حين فقال:-

(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ) الزرع المحروث و ما فيه من الثمار

(حُطَمَا) فتاتا متحطما لا نفع فيه و لا رزق

(فَظَلَمْتُمْ) فصرتم بسبب جعله حطاما بعد أن تعبتم فيه و أنفقتم النفقات الكثيرة

(تَفَكَّهُونَ) تندمون و تحسرون على ما أصابكم و يزول بذلك فرحكم و سروركم و تفكهكم

*قَالَ الْكِسَائِيُّ: تَفَكَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ. تَقُولُ الْعَرَبُ: تَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى تَنَعَّمْتُ وَ تَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى حَزِنْتُ 65

فتقولون:- **(إِنَّا لَمَغْرُمُونَ)** إنا قد نقصنا و أصابتنا مصيبة اجتاحتنا.

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم و بأي سبب ذهبتم فتقولون:-

(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم ثم أبقاه و كمله لكم و لم يرسل عليه من الآفات ما به

تحرمون نفعه و خيره 67

*لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام **(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ)**

ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون وأنهم لولا أن الله يسره و سهله لما كان لكم سبيل إليه 68

(أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) السحاب و المطر ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض و في بطنها

و يكون منه الغدران المتدفقة **(أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ)** 9 و من نعمته أن جعله عذبا فراتا تسيغه النفوس

(لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحًا) (أَجَا) مكروها للنفوس لا ينتفع به

(فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) الله تعالى على ما أنعم به عليكم 70

(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) توقدون

و هذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم

و حوائجهم فقرهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار 71

(أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)

و أن الخلق لا يقدر أن ينشئوا شجرها و إنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر فإذا هي نار توقد

بقدر حاجة العباد فإذا فرغوا من حاجتهم أطفأوها و أحمدها.

*أَيُّ: بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ جَعَلْنَاهَا مَوْدَعَةً فِي مَوْضِعِهَا وَ لِلْعَرَبِ شَجَرَتَانِ:-
إِحْدَاهُمَا:- الْمَرْخُ وَ الْأُخْرَى: الْعَقَارُ



*إِذَا أَخَذَ مِنْهُمَا غُصْنَانِ أَخْضَرَانِ فَحُكَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ تَنَازَّرَ مِنْ بَيْنِهِمَا شَرُّ النَّارِ 72

(نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً)

للعباد بنعمة ربهم و تذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين و جعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم

(وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) المنتفعين أو المسافرين و خص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره

و لعل السبب في ذلك لأن الدنيا كلها دار سفر و العبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه

فهذه النار جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار و تذكرة لهم بدار القرار

*البخارى

3265 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ (في تعذيب أهل النار)

قَالَ: «فُضِّلَتْ» (على نيران الدنيا) عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَ سِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» 73

* فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده و شكره و عبادته أمر بتسبيحه و تحميده فقال:-

(فَسَبِّحْ) نزه (بِأَسْمَائِكَ الْعَظِيمَةِ)

كامل الأسماء و الصفات كثير الإحسان و الخيرات و احمده بقلبك و لسانك و جوارحك لأنه أهل لذلك

و هو المستحق لأن يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى و يطاع فلا يعصى.

*الَّذِي بِقُدْرَتِهِ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَصَادَّةَ الْمَاءَ الْعَذْبَ الزَّلَالَ الْبَارِدَ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحًا أَجَا
كَالْبَحَارِ الْمُغْرِقَةِ. وَ خَلَقَ النَّارَ الْمُحْرِقَةَ وَ جَعَلَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لِلْعِبَادِ

وَ جَعَلَ هَذِهِ مَنَفَعَةً لَهُمْ فِي مَعَاشِ دُنْيَاهُمْ وَ زَاجِرًا لَهُمْ فِي الْمَعَادِ 74

(فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) مساقطها في مغاربها و ما يحدث الله في تلك الأوقات من الحوادث الدالة على

عظمته و كبريائه و توحيده ﴿٧٥﴾

ثم عظم هذا المقسم به فقال :- (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

و إنما كان القسم عظيماً لأن في النجوم و جريانها و سقوطها عند مغاربها آيات و عبرا لا يمكن حصرها.

من أسباب القسم بمواقع النجوم الرابط

هذه الصفات المذهلة للنجوم تركها القسم القرآني و ركز على مواقع النجوم فقال سبحانه و تعالى:-

(فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ و لعل من أسباب ذلك ما يلي:-)

أولاً: أنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عنا فإنه لا يمكن لنا رؤية النجوم من على سطح الأرض أبداً و لا بأية وسيلة مادية و كل الذي نراه من نجوم السماء هو مواقعها التي مرت بها ثم غادرتها إما بالجري في الفضاء الكوني بسرعات مذهلة أو بالانفجار و الاندثار أو بالانكدار و الطمس.

فالشمس و هي أقرب نجوم السماء إلينا تبعد عنا بمسافة مائة و خمسين مليون كيلومتر فإذا انبثق منها الضوء بسرعه المقدرة بحوالى الثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية من موقع معين مرت به الشمس فإن ضوءها يصل إلى الأرض بعد ثماني دقائق و ثلث دقيقة تقريبا بينما تجرى الشمس بسرعة تقدر بحوالى 19 كيلومترا في الثانية في اتجاه نجم النسر الواقع (Vega)

فتكون الشمس قد تحركت لمسافة لا تقل عن عشرة آلاف كيلومتر عن الموقع الذي انبثق منه الضوء ونحن لا نرى ضوءها إلا على هيئة صورة وهمية للموقع الذي انبثق منه الضوء الذي رأيناه و هذا من رحمة الله بنا لأن الإنسان إذا نظر إلى النجم بطريقة مباشرة فإنه يفقد بصره في الحال. و أقرب النجوم إلينا بعد الشمس و هو المعروف باسم النجم المركزي الأول (أو الأقرب القنطوري) يصل إلينا ضوءه بعد 43 سنة من انطلاقه من النجم أى بعد أكثر من خمسين شهراً يكون النجم قد تحرك خلالها ملايين عديدة من الكيلومترات بعيداً عن الموقع الذي صدر منه الضوء

و هكذا فنحن من على سطح الأرض لا نرى النجوم أبداً و لكننا نرى صوراً قديمة للنجوم انطلقت من مواقع مرت بها و تتغير هذه المواقع من لحظة إلى أخرى بسرعات تتناسب مع سرعة تحرك النجم في مداره و معدلات توسع الكون و تباعد المجرات عنا والتي يتحرك بعض منها بسرعات تقترب أحيانا من ثلاثة أرباع سرعة الضوء وأبعد نجوم مجرتنا عنا يصلنا ضوءه بعد ثمانين ألف سنة من لحظة انبثاقه من النجم

بينما يصلنا ضوء بعض النجوم البعيدة عنا بعد بلايين السنين

و هذه المسافات الشاسعة مستمرة في الزيادة مع الزمن نظراً لاستمرار تباعد المجرات عن بعضها البعض بسبب اتساع الكون.

و من النجوم التي تتلأأ أضواؤها في سماء ليل الأرض و ما ثبت علمياً أنه قد انفجر و تلاشى أو طمس و اختفى منذ ملايين السنين لأن آخر شعاع انبثق منها قبل انفجارها أو طمسها لم يكن قد وصل إلينا بعد و الضوء القادم منها اليوم يعبر عن ماض قد يقدر بملايين السنين.

ثانيًا: ثبت علميًا أن الضوء مثل المادة ينحني أثناء مروره في مجال تجاذبي مثل الكون و عليه فإن موجات الضوء تتحرك في صفحة السماء الدنيا في خطوط منحنية يصفها القرآن الكريم(بالمعارج) و يصف الحركة ذاتها (بالعروج)و هو الانعطاف والخروج عن الخط المستقيم كما يمكن أن يفيد الصعود في خط منعطف و من هنا كان وصف رحلة المصطفى ﷺ في السماوات العلا (بالعروج)وسميت الليلة باسم (المعراج) و الجمع (معارج) و (معاريج). و حينما ينعطف الضوء الصادر من النجم في مساره إلى الأرض فإن الناظر من الأرض يرى موقعاً للنجم على استقامة بصره و هو موقع يغير موقعه الذي صدر منه الضوء مما يؤكد مرة أخرى أن الإنسان من فوق سطح الأرض لا يمكنه أن يري النجوم أبداً.

ثالثًا: أن النجوم في داخل المجرة الواحدة مرتبطة مع بعضها بالجاذبية المتبادلة بينها والتي تحكم مواقع النجوم و كتلها فمع تسليمنا بأن الله تعالى هو الذي يمسك السماوات و الأرض أن تزولا كما أخبرنا سبحانه وتعالى بقوله:(**إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِذِ امْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**) (فاطر:41)

ويقول ربنا عز وجل: (**... وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ**) (الحج:65).

إلا أن الله تعالى له سننه التي يحقق بها مشيئته - وهو القادر على أن يقول للشئ: (كن فيكون) وهو - تعالى - وضع للكون هذه السنن المتدرجة لكي يستطيع الإنسان فهمها و يتمكن من توظيفها في حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض

فمواقع النجوم على مسافات تتناسب تناسباً طردياً مع كتلتها ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقوى الجاذبية التي تمسك بها في تلك المواقع و تحفظ السماء أن تقع على الأرض إلا بإذن الله

ومن هنا كانت قيمة مواقع النجوم التي كانت من وراء هذا القسم القرآني العظيم...!!

رابعًا: أثبتت دراسات الفلك ودراسات كل من الفيزياء الفلكية والنظرية أن الزمان و المكان شيئان


متواصلان و من هنا كانت مواقع النجوم المترامية الأبعاد تعكس أعمارها الموعلة في القدم والتي تؤكد أن الكون الذي نحيا فيه ليس أزلياً إذ كانت له بداية يحددها الدارسون باثني عشر بليوناً من السنين على أقل تقدير و من هنا كان في القسم بمواقع النجوم إشارة إلى قدم الكون مع حدوثه و هي حقائق لم يتوصل إليها العلم المكتسب إلا بنهاية القرن العشرين.

فقد كان اليونانيون القدامى يصرون على أن الأرض هي مركز الكون أو أن الشمس هي مركز الكون و أن كليهما ثابت لا يتحرك غير متصورين وجود أية بنية سماوية إلا حول الشمس

وكان غيرهم من أصحاب المذنيات السابقة واللاحقة يؤمنون بديمومة الأرض و النجوم و ما بها من صور المادة والطاقة

*بل ظل الغربيون إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي يؤمنون بأن النجوم مثبتات بالسماء

و أن السماء بنجومها تتحرك كقطعة واحدة حول الأرض و أن الكون في مركزه ثابت غير متحرك و مكون من عناصر أربعة هي التراب و الماء و الهواء و النار و حول تلك الكرات الأربع الثابتة تتحرك السماوات...!!

ثم يأتي القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة من السنين ليقسم بمواقع النجوم هذا القسم العظيم مؤكداً
نسبية وأهمية وتعظيم تلك المواقع
و أن الإنسان لا يمكن له رؤية النجوم من فوق الأرض و كل ما يمكن أن يراه هي مواقع مرت بها النجوم
و يأتي العلم في نهاية القرن العشرين مؤكداً كل ذلك...!!!

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾
 أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾
 وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
 فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
 فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ ﴿٩٤﴾
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

57-سورة الحديد-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط يُمِيطُ ط وَيُمِيطُ ط
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ) و أما المقسم عليه فهو إثبات القرآن و أنه حق لا ريب فيه و لا شك يعتريه

(كَرِيمٌ) كثير الخير غزير العلم فكل خير و علم فإنما يستفاد من كتاب الله و يستنبط منه ﴿٧٧﴾

(فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ) مستور عن أعين الخلق

* و هذا الكتاب المكنون هو:- اللوح المحفوظ

(إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى)

* و يحتمل أن المراد بالكتاب المكنون هو:- الكتاب الذي بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه و تنزيله

و أن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين لا قدرة لهم على تغييره و لا الزيادة و النقص منه و استراقه ﴿٧٨﴾

(لَا يَمَسُّهُ) أى القرآن (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الملائكة الكرام الذين طهرهم الله تعالى من الآفات و الذنوب و العيوب

* و إذا كان لا يمسه إلا المطهرون و أن أهل الخبث و الشياطين لا استطاعة لهم و لا يدان إلى مسه:-

دلت الآية بتبنيها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر كما ورد بذلك الحديث

و لهذا قيل أن الآية خبر بمعنى النهى أى: لا يمس القرآن إلا طاهر ﴿٧٩﴾

إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو (تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) الذى يربى عباده بنعمه الدينية و

الدينية

*و من أجل تربية ربي بها عباده إنزاله هذا القرآن الذي قد اشتمل على مصالح الدارين و رحم الله به العباد رحمة لا يقدرُونَ لها شكورا.

*هَذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَيْسَ هُوَ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ سِحْرٌ أَوْ كِهَانَةٌ أَوْ شِعْرُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ وَ لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ نَافِعٌ 90

و مما يجب عليهم أن يقوموا به و يعلنوه و يدعوا إليه و يصدعوا به و لهذا قال:-

(أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ) الكتاب العظيم و الذكر الحكيم

(أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) مكذبون غير مصدقين-تختفون و تدلسون خوفا من الخلق و عارهم و ألسنتهم؟

*هذا لا ينبغي و لا يليق إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه.

و أما القرآن الكريم فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب و لا يصول به صائل إلا كان العالى على غيره و هو الذي لا يداهن به و لا يختفى بل يصدع به و يعلن 81

(وَتَجْعَلُونَ) شكر (رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ)

تكفرون بنعمة الله فتقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا و تضيفون النعمة لغير مسديها و موليتها فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله فإن التكذيب و الكفر داع لرفع النعم و حلول النقم.

*البخارى 846 - عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:-

صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:- أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ يٍ وَ كَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ يٍ وَ كَافِرٌ بِالْكُوكِبِ وَ أَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ يٍ وَ مُؤْمِنٌ بِالْكُوكِبِ "

*مسلم-73 الصحيح المسند من اسباب النزول حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ:-

مُطَرَّ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَ مِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا:- هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نُوءُ كَذَا وَ كَذَا قَالَ: فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75] حَتَّى بَلَغَ:- (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82] 82

*احوال الناس عند الاحتضار:- (فَلَوْلَا) فهلا (إِذَا بَلَغَتِ) الروح (الْحُلُقُومَ) 83

(وَأَنْتُمْ جِينِدٌ تَنْظُرُونَ) إلى المحتضر في هذه الحالة 84

(و) الحال أنا نحن (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) بعلمنا و ملائكتنا

(وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ) 85

(فَلَوْلَا) فهلا (إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) مُصَدِّقِينَ أَنْكُمْ تُدَانُونَ وَ تُبْعَثُونَ وَ تُجْزَوْنَ فَرُدُّوا هَذِهِ النَّفْسَ.

*ابن ماجه -4262- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا:

اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَ رِيحَانٍ (صديد أهل النار)
وَ رَبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟
فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَ رِيحَانٍوَ رَبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻوَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءِ قَالَ: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي
بِحَمِيمٍ وَ غَسَاقٍ (البارد) وَ آخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (بَاخِر وَ أَزْوَاجٌ بَدَل مِنْهُ. أَيْ وَ أَوْصَافُهُ وَ مِنْ شَكْلِهِ جَارٍ وَ مَجُورٍ وَ قَعٌ حَالًا مِنْ أَزْوَاجٍ وَ بِأَصْنَافٍ كَانَتْ مِنْ

جِنْسِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْحَمِيمِ وَالْغَسَاقِ) فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ

فَلَا يُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فَلَانٌ فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي

ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لِكَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ 86

ترجعون الروح إلى بدنها (تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) و أنتم تقرون أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها

فحينئذ:-1-إِذَا أَنْ تَقْرُوا بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ ﷻ

2-و إِمَّا أَنْ تَعَانِدُوا وَ تَعْلَمُ حَالَكُمْ وَ سُوءَ مَا لَكُمْ.

ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث:-

1-المقربين

2-و أصحاب اليمين

3-و المكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار 87

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار و الموت فقال:-

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ) الميت

(مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) هم الذين أدوا الواجبات و المستحبات و تركوا المحرمات و المكروهات و فضول المباحات 88

(ف) لهم (فَرَوْحٌ) راحة و طمأنينة و سرور و بهجة و نعيم القلب و الروح

(وَرِيحَانٌ) و هو اسم جامع لكل لذة بدنية من أنواع المأكول و المشارب و غيرهما

و قيل: الريحان هو الطيب المعروف فيكون تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام

(وَجَحَنَتْ نَعِيمٍ) جامعة للأمرين كليهما فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر

فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح و السرور .

كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ 30 نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ 31 نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) [فصلت]

و قد أول قوله تبارك تعالى: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس: 64]
أن هذه البشارة المذكورة هي البشـرى في الحياة الدنيا .
*أحمد 15787 قال النبي ﷺ:-

إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ 89
(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين أدوا الواجبات و تركوا المحرمات

*و إن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم و إيمانهم 90

(ف) يقال لأحدهم: (فَسَلِّمْ) سلام حاصل (لَكَ مِنْ) إخوانك (أَصْحَابِ الْيَمِينِ)
يسلمون عليه و يحيونه عند وصوله إليهم و لقائهم له

أو (فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ) إخوانك الآفات و البليات و العذاب لأنك من (أَصْحَابِ الْيَمِينِ) الذين سلموا من الذنوب الموبقات
(نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ 31 نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

[فصلت] 91

جزاء المكذبين 92-96

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ) الذين كذبوا بالحق و ضلوا عن الهدى 92

(فَنَزَّلُ) ضيافتهم (مَنْ حَمِيمٍ) المذاب الذي (يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) [الحج: 20] 93

ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) التي تحيط بهم و تصل إلى أفئدتهم و إذا استغاثوا من شدة

العطش و الظمأ (وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف: 29] 94

(إِنَّ هَذَا) الذي ذكره الله تعالى من جزاء العباد بأعمالهم خيـرها و شرها و تفاصيل ذلك

(هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) الرؤية بالعين-الذي لا شك فيه و لا مـرية بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه

و قد أشهد الله عباده الأدلة القواطع على ذلك حتى صار عند أولى الألباب كأنهم ذائقون له مشاهدون له

فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة و المنحة الجسيمة 95

و لهذا قال تعالى: (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا .

*مشكاة المصابيح 879 وَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

لَمَّا نَزَلْتُ (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»

فَلَمَّا نَزَلَتْ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»

*البخارى 6406 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ (سهلتان) عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ (في وزن ثوابهما) فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ (محبوبتان) إِلَى الرَّحْمَنِ:-

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ 96

تفسير سورة الحديد- و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

تسبيح لمن بيده كل شيء 1-6

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء: 44]

يخبر تعالى عن عظمته و جلاله و سعة سلطانه أن جميع ما في السماوات و الأرض من الحيوانات الناطقة و الصامتة و غيرها و الجوامد تسبح بحمد ربها و تنزهه عما لا يليق بجلاله و أنها قانتة لربها منقادة لعزته

قد ظهرت فيها آثار حكمته ولهذا قال:- (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية و السفلية لربها في جميع أحوالها و عموم عزته و قهره للأشياء كلها و عموم حكمته في خلقه و أمره 1

ثم أخبر عن عموم ملكه فقال:- (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِحَمْدِهِ وَهُوَ يُعْزِزُ وَيُذِيقُ) هو الخالق لذلك الرازق المدبر لها بقدرته

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 2

(هُوَ الْأَوَّلُ) الذي ليس قبله شيء (وَالْآخِرُ) الذي ليس بعده شيء

(وَالظَّاهِرُ) الذي ليس فوقه شيء

(وَالْبَاطِنُ) الذي ليس دونه شيء.

*أبي داود -5110 عن أبي زُمَيْلٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجَدُّهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَ اللَّهُ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: وَ ضَحِكَ قَالَ: «مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ» قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُفَرِّغُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْتَرِكِينَ) [يونس: 94] قَالَ:- فَقَالَ لِي:- «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ:-

(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: 3]

*مسلم-(2713) عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبَّ الْأَرْضِ وَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَ النَّوَى وَ مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ (من شر كل شيء من المخلوقات لأنها كلها في سلطانه و هو آخذ بنواصيها) اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَ أَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَ أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَ أَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ

(يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالذِّينِ هُنَا حَقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقُوقُ الْعِبَادِ كُلِّهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ) وَ أَغْنَيْنَا مِنَ الْفَقْرِ»

(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) قد أحاط علمه بالظواهر و البواطن و السرائر و الخفايا و الأمور المتقدمة و المتأخرة 3

* جاء في نور على الدرب للشيخ بن باز [الرباط](#)

بينها سؤال عن قول الحق تبارك وتعالى: (لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: 79] من هم المذكورون في هذه الآية؟

الصواب أن المراد بذلك المطهرون من الأحداث من الجنابة و الحدث الأصغر فلا يمس المصحف إلا المطهر الذي على طهارة من الحدث الأصغر و الأكبر جميعاً و لهذا كتب النبي ﷺ - إلى أهل اليمن ألا يمس القرآن إلا طاهر و كان الصحابة رضى الله عنهم يفتون بألا يمسها إلا طاهر يعنى ما كان على طهارة من الحدثين الأكبر و الأصغر و القرآن الكريم

لهذا قال بعده:- (تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) الحاققة: 43

أما قراءته فلا بأس أن يقرأ و إن كان على غير طهارة صغرى أما الكبرى فلا بد منها حتى و لو كان من غير المصحف لا يقرؤه الجنب أما من عليه حدث أصغر:-

فلا بأس أن يقرأه عن ظهر قلب و لا يشترط فيه الطهارة لكن لا يمس المصحف إلا بالطهارة و اختلف العلماء في الحائض و النفساء هل هما كالجنب أو لهما أن تقرأ عن ظهر قلب لأن مدتهما تطول و الصواب أنهما ليستا كالجنب لأن مدتهما تطول فلا تقاس مع الجنب و الصواب أن لهما القراءة عن ظهر قلب كالمحدث حدثاً أصغر.

فائدة و إشارة عظيمة للشيخ العثيمين - رحمه الله - في تفسير (لا يمسها إلا المطهرون)

الضمير يعود إلى الكتاب المكنون لأنه أقرب شيء و هو بالرفع (لا يمسها) باتفاق القراء و إنما نبهنا على ذلك لدفع قول من يقول: إنه خبر بمعنى النهي و الضمير يعود على القرآن أى: نهى أن يمس القرآن إلا طاهر و الآية ليس فيها ما يدل على ذلك

*بل هي ظاهرة في أن المراد به اللوح المحفوظ لأنه أقرب مذكور

و لأنه خبر و الأصل في الخبر أن يبقى على ظاهره خبراً لا أمراً و لا نهياً حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك و لم يرد ما يدل على خلاف ذلك بل الدليل على أنه لا يراد به إلا ذلك و أنه يعود إلى الكتاب المكنون و لهذا قال الله (إلا المطهرون) باسم المفعول و لم يقل:- [إلا المطهرون]

و لو كان المراد المطهرون لقال ذلك أو قال: [إلا المتطهرون] كقوله (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) و المطهرون: هم الذين طهرهم الله و هم الملائكة طهروا من الذنوب و أدناسها قال تعالى: (لا يعصون الله ما أمرهم) التحريم: 6.

و قال تعالى: (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) الأنبياء: 20

و قال تعالى (بل عباد مكرمون) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) الأنبياء

فرق بين المطهر الذي يريد أن يفعل الكمال بنفسه و بين المطهر الذي كمله غيره وهم الملائكة و هذا مما يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم أن المراد بالكتاب الكتب التى فى أيدي الملائكة

*و في الآية إشارة على أن من طهر قلبه من المعاصي كان أفهم للقرآن

و أن من تنجس قلبه بالمعاصي كان أبعد فهماً عن القرآن لأنه إذا كانت الصحف التى فى أيدي الملائكة لم يُمْكِنُ الله من مسها إلا هؤلاء المطهرين فكذلك معاني القرآن

* فاستنبط شيخ الإسلام من هذه الآية :-أن المعاصي سبب لعدم فهم القرآن
كما قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففين : 14 و هم الذين قال الله فيهم
(إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) القلم : 15

* فهم لا يصلون إلى معانيها و أسرارها لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
* و قد ذكر بعض أهل العلم :-أنه ينبغي لمن أسْتَفْتَى أن يُقَدِّم بين يدي الفتوى الاستغفار لمحو أثر الذنب
من قلبه حتى يتبين له الحق و استنبطه من قوله تعالى
(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر المني الله كان غفوراً
رحيماً) النساء : 105

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُواوُكُلًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) تقدم في سورة الاعراف 54 أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق بجلاله فوق جميع خلقه

(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) من حب و حيوان و مطر و غير ذلك.

*كقوله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [الأنعام: 59]

(وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من نبات و شجر و حيوان و غير ذلك

(وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الملائكة و الأقدار و الأرزاق و الامطار و الثلوج و البرد و الاحكام مع الملائكة الكرام

(وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) من الملائكة و الأرواح و الأدعية و الأعمال و غير ذلك.

*مسلم -179 عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) كقوله: - (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا) [المجادلة: 7]

*كقوله (أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ) [هود: 5] يثنون صدورهم: - أى يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله فى زعمهم.

*مسلم-8 فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ:- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»

و هذه المعية معية العلم و الاطلاع و لهذا توعد و وعد على المجازاة بالأعمال بقوله:-

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) بما يصدر منكم من الأعمال و ما صدرت عنه تلك الأعمال من بر و فجور فمجازيكم عليها و حافظها عليكم 4

(لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا و خلقا و عبدا يتصرف فيهم بما شاءه من أوامره القدرية و الشرعية الجارية على الحكمة الربانية كقوله (وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى) [الليل: 13]

(وَالِىَ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ) من الأعمال و العمال فيعرض عليه العباد فيميز الخبيث من الطيب و يجازي المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته.

*إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ مِمَّا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ بَلْ إِنْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ عَمِلَ حَسَنَةً وَاحِدَةً يُضَاعِفْهَا إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا (وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: 40] وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء: 47] 5

(يُورِجُ) يدخل (الَيْلُ فِي) على (النَّهَارِ) فيغشيهم الليل بظلامه فيسكنون و يهدأون

(وَيُورِجُ) ثم يدخل (النَّهَارُ فِي) على (الَيْلِ) فيزول ما على الأرض من الظلام و يضيء الكون فيتحرك العباد و يقومون إلى مصالحهم و معاشهم و لا يزال الله يكور الليل على النهار و النهار على الليل و يداول بينهما في الزيادة و النقص و الطول و القصر حتى تقوم بذلك الفصول و تستقيم الأزمنة فَتَارَةً يُطَوِّلُ اللَّيْلَ وَ يَقْصُرُ النَّهَارَ وَ تَارَةً بِالْعَكْسِ وَ تَارَةً يَتْرُكُهُمَا مُعْتَدِلَيْنِ وَ تَارَةً يَكُونُ الْفَصْلُ شِتَاءً ثُمَّ رَبِيعًا ثُمَّ قَيْظًا ثُمَّ خَرِيفًا
*و يحصل من المصالح ما يحصل بذلك فتبارك الله رب العالمين و تعالى الكريم الجواد الذى أنعم على عباده بالنعمة الظاهرة و الباطنة

(وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (

بما يكون فى صدور العالمين فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك و يخذل من يعلم أنه لا يصلح لهديته 6

(ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) على الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَ الدَّوَامِ وَ الثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَ الْإِسْتِمْرَارِ

(وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) ط

يأمر تعالى عباده بالإيمان به و برسوله و بما جاء به و بالنفقة فى سبيله من الأموال التى جعلها الله فى أيديهم و استخلفهم عليها لينظر كيف يعملون

وَ حَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ أَيْ مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلَكُمْ ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ فَأَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ فَإِنْ يَفْعَلُوا وَ إِلَّا حَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ وَ عَاقِبُهُمْ لِتَرْكِهِمُ الْوَاجِبَاتِ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) إِيَّاهُ سَيَكُونُ مُخْلَفًا عَنْكَ فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ فَيَكُونُ أَسْعَدَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ أَوْ يَعَصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونُ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

*مسلم -2958 عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلِهَاجُكُمْ التَّكَاثُرُ قَالَ:- "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي قَالَ:-

وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ " ثم لما أمرهم بذلك رغبتهم و حثهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب فقال:-

(فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) جمعوا بين الإيمان بالله و رسوله و النفقة في سبيله

(هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) أعظمه و أجله رضا ربهم و الفوز بدار كرامته و ما فيها من النعيم المقيم الذى أعده الله للمؤمنين

الإيمان و الانفاق و جزاء المنافقين 7-12

و المجاهدين ﴿٧﴾

*ثم ذكر السبب الداعى لهم إلى الإيمان و عدم المانع منه فقال:-

(وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِلتَّوْحِيدِ) و ما الذى يمنعكم من الإيمان

و الحال أن الرسول محمدا ﷺ أفضل الرسل و أكرم داع دعا إلى الله يدعوكم فهذا مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته و التلبية والإجابة للحق الذى جاء به

(وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) و قد أخذ عليكم العهد و الميثاق بالإيمان

(إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) كقوله (وَإِذْ كُنْتُمْ نِعَمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ) [المائدة: 7] ﴿٨﴾

*و مع ذلك من لطفه و عنايته بكم أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذى هو أشرف العالم بل أيده بالمعجزات و دلكم على صدق ما جاء به بالآيات البينات

فلهذا قال: (هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْتَغِي) ظاهرات تدل أهل العقول على صدق كل ما جاء به و أنه حق اليقين

(لِيُخْرِجَكُمْ) بإرسال الرسول إليكم و ما أنزله الله على يده من الكتاب و الحكمة.

(مَنْ الظَّالِمِينَ) من ظلمات الجهل و الكفر (إِلَى النُّورِ):- نور العلم و الإيمان

(وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) و هذا من رحمته بكم و رأفته حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها ﴿٩﴾

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا) ما الذى يمنعكم من النفقة (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) و هى طرق الخير كلها و يوجب لكم أن تبخلوا

(و) الحال أنه ليس لكم شىء بل (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

فجميع الأموال ستنقل من أيديكم أو تنقلون عنها ثم يعود الملك إلى مالكة تبارك و تعالى

فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأموال في أيديكم و انتهزوا الفرصة
ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال و الحكمة الإلهية فقال:-

(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) ففتح الحديدية

(وَقَاتَلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا)

حين جرى من الصلح بين الرسول و بين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي حصل بها نشر الإسلام و اختلاط المسلمين بالكافرين و الدعوة إلى الدين من غير معارض

* فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا و اعترز الإسلام عزا عظيما

* و كان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرّون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها كالمدينة و توابعها و كان من أسلم من أهل مكة و غيرها من ديار المشركين يؤذى و يخاف

* فلذلك كان من أسلم قبل الفتح و أنفق و قاتل أعظم درجة و أجرا و ثوبا ممن لم يسلم و يقاتل و ينفق إلا بعد ذلك كما هو مقتضى الحكمة

* و لذلك كان السابقون و فضلاء الصحابة غالبهم أسلم قبل الفتح

* و لما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص و قدح في المفضول احترز تعالى من هذا بقوله:-

(وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى) الذين أسلموا و قاتلوا و أنفقوا من قبل الفتح و بعده كلهم وعده الله الجنة

و هذا يدل على فضل الصحابة كلهم رضى الله عنهم حيث شهد الله لهم بالإيمان و وعدهم الجنة

* مسلم-2664 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ

(المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها

و نحو ذلك) وَ فِي كُلِّ خَيْرٍ (معناه في كل من القوى والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات)

(وَأَمَّا نَبَهُ بِهَذَا لِئَلَّا يَهْدَرَ جَانِبُ الْآخِرِ يَمْدَحُ الْأَوَّلَ دُونَ الْآخِرِ فَيَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ دَمَهُ فَلِهَذَا عَطَفَ يَمْدَحُ الْآخِرِ وَ النَّتَاءُ عَلَيْهِ مَعَ تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ)

أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ (معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن

طلب الإعانة) وَ اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَ لَا تَعْجِزْ وَ إِنَّ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَ كَذَا

وَ لَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَ مَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ

(وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ خَيْرٌ) فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله

* فَلَخِبْرَتِهِ فَأَوْتِ بَيْنَ ثَوَابٍ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ وَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ وَ مَا ذَلِكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ

بِقَصْدِ الْأَوَّلِ وَ إِخْلَاصِهِ التَّامِّ وَ إِنْفَاقِهِ فِي حَالِ الْجُهْدِ وَ الْقِلَّةِ وَ الضِّيقِ ﴿١٠﴾

* ثم حث على النفقة في سبيله لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه و بذل الأموال في التجهز له فقال:-

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)

و هي النفقة الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله موافقة لمرضاة الله من مال حلال طيب طيبة به نفسه و هذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضا و المال ماله و العبد عبده

(فِيضْعَفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) و وعد بالمضاعفة عليه أضعافا كثيرة و هو الكريم الوهاب و تلك المضاعفة محلها

و موضعها يوم القيامة يوم كل يتبين فقره و يحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن

* كما قال (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 245]

المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوى

1332- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَ إِنَّمَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا فَأَمْرُهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ "أَعْطَاهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ" فَأَبَى فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ:- بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي فَاجْعَلْهَا لَهُ وَ قَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

"كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ" - قَالَهَا مِرَارًا- قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ:-

يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَإِنِّي قَدْ بَعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رِبْحَ الْبَيْعِ - أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا **﴿١١﴾**

◀ وعد الله حقًا!

احتاجت أمي في يوم من الأيام لشيء يكلف بعض المال، وكنت أُلَس رغبته فيها وحاجتها إليه، وكان لدي بعض المال الذي رصدته لحاجة لي، لكنه قد يقضي

حاجة أمي، ومر في نفسي خاطر: لم لا أقدم حاجتها على حاجتي؟ ألم يأمرني الله ببرها؟ وراودتني نفسي فصارعتها حتى قررت تقديم حاجتها على حاجتي مهما كلفني ذلك، وتذكرت قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ^(١) فقضيت حاجتها، وكلفني ذلك مبلغًا من المال، كلي أمل في رضاها بعد رضا الله، ولما فاجأتها بالأمر بكت من شدة الفرح، فانشرح صدري لما وفقني الله إليه من برها وإدخال السرور عليها.

العجيب في الأمر أنه في اليوم التالي لقضائي حاجتها؛ تم تحويل مبلغ لسابقي مكافأة من جهة رسمية، والأعجب أنها كانت بمعدل الضعف وزيادة، فبكت حينها لأنني تذكرت موعود الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَمَّ دَابُّ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلَاهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْحَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى - مبينا لفضل الإيمان و اغتباط أهله به يوم القيامة:- (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

*الحاكم -3785 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) [الحديد: 12] قَالَ:-

«يُوتُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ وَ أَذْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُطْفِئُ مَرَّةً وَ يُوَفِّدُ أُخْرَى»

أى: إذا كان يوم القيامة و كورت الشمس و خسف القمر و صار الناس في الظلمة و نصب الصراط على متن جهنم فحينئذ ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم فيمشون بأيمانهم و نورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب كل على قدر إيمانه و يبشرون عند ذلك بأعظم بشارة

حوار المنافقين مع
المؤمنين يوم القيامة

(وَبِأَيْمَانِهِمْ) كتبهم كما قال الله (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) [الانشقاق: 7]

فيقال:- (تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم و أذاها لنفوسهم حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب و نجوا من كل شر و مرهوب 12

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا)

فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به و هم قد طفي نورهم و بقوا في الظلمات حائرين قالوا للمؤمنين:

(انظُرُونَا) أمهلونا (نَقْتَبِسْ) لننال (مِنْ نُورِكُمْ) ما نمشى به لننجو من العذاب

* قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:- خَرَجْنَا عَلَى جِنَازَةٍ فِي بَابِ دِمَشْقَ وَ مَعَنَا أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ

فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَ أَخَذُوا فِي دَفْنِهَا قَالَ أَبُو أُمَامَةَ:-

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ قَدْ أَصَبَحْتُمْ وَ أَمْسَيْتُمْ فِي مَنْزِلٍ تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ وَ تَوْشِكُونَ أَنْ تَظْعَنُوا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ وَ هُوَ هَذَا- يُشِيرُ إِلَى الْقَبْرِ- بَيْتُ الْوَحْدَةِ وَ بَيْتُ الظُّلْمَةِ وَ بَيْتُ الدُّودِ وَ بَيْتُ الضِّيقِ إِلَّا مَا وَسَّعَ اللَّهُ تَتَنَقَّلُونَ مِنْهُ إِلَى مُوَاطِنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّكُمْ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَتَّى يَغْشَى النَّاسَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ فَتَبْيِضُ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُ وُجُوهٌ ثُمَّ تَتَنَقَّلُونَ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ فَتَغْشَى النَّاسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ثُمَّ يُقَسَّمُ النُّورُ فَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ نُورًا وَ يُتْرَكُ الْكَافِرُ وَ الْمُنَافِقُ فَلَا يُعْطَيَانِ شَيْئًا وَ هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ قَالَ (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي) إِلَى قَوْلِهِ: (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [النُّور: 40]

فَلَا يَسْتَضِيءُ الْكَافِرُ وَ الْمُنَافِقُ بِنُورِ الْمُؤْمِنِ كَمَا لَا يَسْتَضِيءُ الْأَعْمَى بِنُورِ الْبَصِيرِ وَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: (انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) هِيَ خدعة الله التي خدع بها الْمُنَافِقِينَ

حَيْثُ قَالَ: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النِّسَاء: 142] .

فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قُسِمَ فِيهِ النُّورُ فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا فَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ وَ قَدْ ضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) الْآيَةُ. يَقُولُ سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ:

فَمَا يَزَالُ الْمُنَافِقُ مُغْتَرًّا حَتَّى يُقَسَّمَ النُّورُ وَ يُمَيِّزَ اللَّهُ بَيْنَ وَ الْمُؤْمِنِ الْمُنَافِقِ

ف(قِيلَ) لَهُمْ (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) أى: إن كان ذلك ممكنا و الحال أن ذلك غير ممكن بل هو من المحالات

(فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين و المنافقين

(بِسُورٍ) حائط منيع و حصن حصين

(لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) و هو الذى يلى المؤمنين

(وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) و هو الذى يلى المنافقين 13

(يُنَادُونَهُمْ) فينادى المنافقون المؤمنين فيقولون لهم تضرعا و ترحما:-

(أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدنيا نقول: لا إله إلا الله و نصلى و نصوم و نجاهد و نعمل مثل عملكم؟

(قَالُوا بَلَى) كنتم معنا فى الدنيا و عملتم فى الظاهر مثل عملنا

و لكن أعمالكم أعمال المنافقين من غير إيمان و لا نية صادقة صالحة

(وَلَكِنْ كُنْتُمْ فَنَافِقِينَ أَنْفُسَكُمْ) بِالنِّفَاقِ و المعاصى

(وَنَرَضْتُمْ) بالنبى و بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرِ

(وَأَرْبَبْتُمْ) شركتكم فى البعث بعد الموت -شككنكم فى خبر الله الذى لا يقبل شكا

(وَعَزَّيْتُمْ الْأُمَانِي) الْأَطْمَاعِ الْبَاطِلَةَ حيث تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين و أنتم غير موقنين

(حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) حتى جاءكم الموت و أنتم بتلك الحال الذميمة.

(وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْعَزُورُ) وهو الشيطان الذي زين لكم الكفر و الريب فاطمأنتم به و وثقتم بوعدده و صدقتم خبره.

(الغرور بفتح الغين هو الشيطان و بضمه هو الباطل) 14

(فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ فَدِيَةٌ وَلَامِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)

فلو افتديتم بمثل الأرض ذهبا و مثله معه لما تقبل منكم

(مَأْوِيَّتُكُمْ) مستقركم (النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ) أولى بكم من كل منزل لكفركم و ارتيابكم -التي تتولاكم و تضمكم إليها

(وَيَسِّرَ الْمَصِيرَ) النار. قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ حَقَّ مَوَازِينُهُ 8 فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ 9 وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ) [القارعة: 8 - 10] 15

*لما ذكر حال المؤمنين و المؤمنات و المنافقين و المنافقات في الدار الآخرة كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها و الاستكانة لعظمته فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك فقال:-

(أَلَمْ يَأْنِ) يجئ الوقت (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ) تلين به (قُلُوبُهُمْ) و تخشع

(لِذِكْرِ اللَّهِ) الذي هو القرآن و تنقاد لأوامره و زواجه

توجيهات للمؤمنين و جزاؤهم و الكافرين 16-19

(وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) الذي جاء به محمد ﷺ؟

و هذا فيه الحث على:-

1- الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى و لما أنزله من الكتاب والحكمة

2-و أن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية و الأحكام الشرعية كل وقت و يحاسبوا أنفسهم على ذلك

*مسلم -3027 عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ:- مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَ بَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) [الحديد: 16] إِلَّا أَرْبَعَ سِنِينَ "

(وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) الموجب لخشوع القلب و الانقياد التام ثم لم يدوموا عليه و لا ثبتوا

(فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) طال عليهم الزمان و استمرت بهم الغفلة فاضمحل إيمانهم و زال إيقانهم

*نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حَمَلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بَايَدِيهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَ بَدَّوْهُ وَ رَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ أَقْبَلُوا عَلَى الْأَرَءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْأَقْوَالِ الْمُؤْتَفَكَةِ وَ قَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ وَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً وَ لَا تَلِينَ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَ لَا وَعِيدٍ.

(فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً وَ لَا تَلِينَ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَ لَا وَعِيدٍ.

(وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ) خارجون عن طاعة الله- في الْأَعْمَالِ فَقُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ وَ أَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ.

*فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله و تناطق بالحكمة و لا ينبغي الغفلة عن ذلك فإن ذلك سبب لقسوة القلب و جمود العين.

كَمَا قَالَ: (فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّثُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) [المائدة: 13]

1- فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ

2- فَقَسَتْ وَ صَارَ مِنْ سَجِيَّتِهِمْ تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ

3- وَ تَرَكُوا الْأَعْمَالَ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا وَ ارْتَكَبُوا مَا نَهَا عَنْهُ

وَ لِهَذَا نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَصْلِيَّةِ وَ الْفُرْعِيَّةِ ﴿١٦﴾

﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾

عن نافع: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

الحديد: ١٦

يبكى حتى يغلبه البكاء (٧) الإصابت في تمييز الصحابة

﴿اللهم بلى !﴾

كان جَعْفَرُ بْنُ حَرْبٍ يتقلد كِبَارَ الْأَعْمَالِ للسلطان، وكانت وظيفته تقارب وظيفة الوزارة، فاجتاز يوما راكبًا في موكبٍ له عظيمٍ فسمع رجلا يقرأ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٣)؛ فصاح: اللهم بلى، يُكْرِّرُهَا، ثم بكى وتاب وَرَدَّ الْمَظَالِمَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ، وانقطع للعلم والعبادة حتى مات (٤). صفة الصفوة

الحديد ١٦

﴿اللهم بلى !﴾

كان جَعْفَرُ بْنُ حَرْبٍ يتقلد كِبَارَ الْأَعْمَالِ للسلطان، وكانت وظيفته تقارب وظيفة الوزارة، فاجتاز يوما راكبًا في موكبٍ له عظيمٍ فسمع رجلا يقرأ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٣)؛ فصاح: اللهم بلى، يُكْرِّرُهَا، ثم بكى وتاب وَرَدَّ الْمَظَالِمَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ، وانقطع للعلم والعبادة حتى مات (٤). صفة الصفوة

الحديد ١٦

﴿آيَةُ تَشْدِيدِ الْحَمَمِ﴾

كلما قسا قلبي وأصابني الفتور لجأت إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢)، آية تخشع لها القلوب، وتؤثر في النفوس، كم من سامع لها بكى وخشع! وكم من مذنّب تاب وإلى الحق رجع!

الحديد: ١٦

(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية

و الذى أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيى الأموات بعد موتهم فيجازيهم بأعمالهم

و الذى أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيى القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله

(قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

و هذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و لم ينقد لشرائع الله ﴿١٧﴾

(إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمَصْدِقَاتِ) بالتشديد أى: الذين أكثروا من الصدقات الشرعية و النفقات المرضية

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا) بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخرا لهم عند ربهم

(يُضَاعَفْ لَهُمْ) الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

(وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) و هو ما أعده الله لهم في الجنة مما لا تعلمه النفوس ﴿١٨﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُمْ مُصْفَرًّا
ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

و الإيمان عند أهل السنة هو ما دل عليه الكتاب و السنة هو :-

قول القلب و اللسان و عمل القلب و اللسان و الجوارح

فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة و الباطنة فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصادقون:-

أى:- الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين و دون مرتبة الأنبياء.

(وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)

كما ورد فى البخارى-7423 قال النبى ﷺ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ
كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ
فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»
و هذا يقتضى شدة علوهم و رفعتهم و قربهم لله تعالى.

*مسلم -1887 عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:-

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ) [آل عمران: 169]

قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:- «أَرَوَا حُهُم فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلٌ مُّعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ
تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً»
فَقَالَ: "هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَى شَيْءٍ نَشْتَهِي وَ نَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا

فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُزَكُّوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا "

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)

فهذه الآيات جمعت أصناف الخلق المتصدقين و الصديقين و الشهداء و أصحاب الجحيم

فالمصدقون:-

الذين كان جل عملهم الإحسان إلى الخلق و بذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم

"خصوصا بالنفع بالمال في سبيل الله"

و الصديقون:-

هم الذينكملوا مراتب الإيمان و العمل الصالح و العلم النافع و اليقين الصادق

و الشهداء :-هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله و بذلوا أنفسهم و أموالهم فقتلوا

و أصحاب الجحيم :-

هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله.

* و بقى قسم ذكرهم الله في سورة فاطر و هم **المقتصدون:-**

الذين أدوا الواجبات و تركوا المحرمات إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله و حقوق عباده

فهؤلاء مآلهم الجنة و إن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا.

* (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) [النساء: 69]

فَفَرَّقَ بَيْنَ الصَّدِيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا صِنْفَانِ.

و لَا شَكَّ أَنَّ الصَّدِيقَ أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الشَّهِيدِ فِي الْبَخَارِيِّ -3256 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:-

«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ (يرون وينظرون ويتكلمون لذلك) أَهْلَ الْغُرَفِ (أصحاب المنازل العالية و الغرف جمع غرفة وهي العلية) مِنْ فَوْقِهِمْ

كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ (الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر) فِي الْأَفْقِ (أطراف السماء)

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ (بعد منازل أهل الغرف و علو درجاتهم عن باقي أهل الجنة)»

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ

قَالَ: «بَلَى وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجُلٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ صَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» 19

حقيقة الدنيا و العمل الصالح 20-21

(اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)

كقوله (رُزِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ

ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاِبِ) [آل عمران: 14]

يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا و ما هى عليه و يبين غايتها و غاية أهلها

بأنها (لَعِبٌ) تلعب بها الأبدان

(وَلَهْوٌ) و تلهو بها القلوب . و هذا مصداقه ما هو موجود و واقع من أبناء الدنيا

*فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب و الغفلة عن ذكر الله و عما أمامهم من الوعد و الوعيد و تراهم قد اتخذوا دينهم لعبا و لهوا بخلاف أهل اليقظة و عمال الآخرة فإن قلوبهم معمورة بذكر الله و معرفته و محبته و قد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله من النفع القاصر و المتعدى.

(وَزِينَةٌ) تزين في اللباس و الطعام و الشراب و المراكب و الدور و القصور و الجاه. و غير ذلك

(وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَهُمْ)

كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر و أن يكون هو الغالب في أمورها و الذى له الشهرة في أحوالها

(وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)

كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال و الولد و هذا مصداقه وقوعه من محبى الدنيا و المطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا و حقيقتها فـ:-

1-جعلها معبرا و لم يجعلها مستقرا

2-فنافس فيما يقربه إلى الله

3-و اتخذ الوسائل التي توصله إلى الله

4-و إذا رأى من يكاثره و ينافسه بالأموال و الأولاد نافسه بالأعمال الصالحة.

(كَمَثَلِ) ثم ضرب للدنيا مثلا

(غَيْثٍ) المطر نزل على الأرض

(أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ فَرْدًا مُّصْفَرًّا) فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و الأنعام

(ثُمَّ يَكُونُ) يصير (حُطَلَمًا) يبسا متكسرا

حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و أعجب نباته الكفار الذين قصروا همهم و نظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلّفها فهاجت و ييست فعاتت على حالها الأولى كأنه لم ينبت فيها خضراء و لا رؤى لها مرأى أنيق
*كذلك الدنيا بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة مهما أراد من مطالبها حصل

و مهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة:- إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده و أزال تسلطه عليها أو ذهب به عنها فرحل منها صفر اليدين لم يتزود منها سوى الكفن فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته و لها عمله و سعيه.

و أما العمل للآخرة فهو الذى ينفع و يدخر لصاحبه و يصحب العبد على الأبد

*هَكَذَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا تَكُونُ أَوَّلًا شَابَةً ثُمَّ تَكْتَهِلُ ثُمَّ تَكُونُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ وَ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ عُمَرِهِ وَ عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيْنَ الْأَعْطَافِ بِهِيَ الْمَنْظَرِ

*ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُھُولَةِ فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ وَ يَنْقَدُ بَعْضُ قُوَّاهُ ثُمَّ يَكْبُرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى قَلِيلَ الْحَرَكَةِ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ
كَمَا قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) [الرُّوم: 54]

و لهذا قال تعالى:- (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ)

حال الآخرة ما يخلو من هذين الأمرين:-

1- إما العذاب الشديد في نار جهنم (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ)

أغلالها و سلاسلها و أهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته و منتهى مطلبه فتجراً على معاصي الله كذب بآيات الله و كفر بأنعم الله.

2- و إما مغفرة من الله للسيئات (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ) و إزالة للعقوبات

(وَرِضْوَانٌ) من الله يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا و سعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا و الرغبة في الآخرة

و لهذا قال:- (وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) متاع لا يُغْتَرُ به و يطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.

*إنما المتاع يتمتع به و ينتفع به و يستدفع به الحاجات

*البخاري -6488 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ (كناية عن سهولة دخولها لمن أطاع وكذلك دخول النار لمن عصى) مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ (السير الذي تدخل فيه الأصابع) وَ النَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»

*قال بن كثير في التعقيب على هذا الحديث:-

ففى هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَابِ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ مِنَ الْإِنْسَانِ وَ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِهَذَا حَثَّ اللَّهُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَ تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي تُكْفِّرُ عَنْهُ الذُّنُوبَ وَ الزَّلَّاتِ وَ تُحَصِّلُ لَهُ الثَّوَابَ وَ الدَّرَجَاتِ 20

*ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله و رضوانه و جنته فقال:- (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)

و ذلك يكون بالسعى بأسباب المغفرة من:-

1- التوبة النصوح

2- الاستغفار النافع

3- البعـد عن الذنوب و مظانها

4- المسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح

5-الحرص على ما يرضى الله على الدوام من:-

أ- الإحسان في عبادة الخالق

ب-الإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع . و لهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك فقال:-

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ)

و الإيمان بالله و رسله يدخل فيه أصول الدين و فروعها

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)

هذا الذى بيناه لكم و ذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة و الطرق الموصلة إلى النار

و أن فضل الله بالثواب الجزيل و الأجر العظيم من أعظم منته على عباده وفضله.

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الذى لا يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه و فوق ما يشئ عليه عباده .

*البخارى -843 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا:-


ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ (جمع دثر وهو المال الكثير) مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعَلَى (المراتب العليا في الجنة) وَ النَّعِيمِ (ما يتنعم به)

الْمُقِيمِ (الدائم) يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَ يَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَ لَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالِ (أموال زائدة عن حاجتهم) يَحْجُونَ بِهَا وَ يَعْتَمِرُونَ وَ يُجَاهِدُونَ وَ يَتَصَدَّقُونَ قَالَ:-«أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ وَ لَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَ كُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ (من أنتم بينهم) إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَ تَحْمَدُونَ وَ تُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ»

فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا:نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ وَ نَحْمَدُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ وَ نُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَ ثَلَاثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ:-

«سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلِّهِنَّ (من كل حملة منهن) ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ»

*مسلم-595 قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا:-

سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ مِمَّا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» 

الايان بالقضاء و القدر 22-24

*يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه و قدره:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

*أَعْلَمْنَاكُمْ بِتَقْدِمِ عَلِمْنَا وَ سَبَقِ كِتَابَتِنَا لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ تَقْدِيرِنَا الْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُجُودِهَا

*وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى الْقَدَرِيَةِ نِفَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ-قَبَّحَهُمُ اللَّهُ

في مسلم -2653 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:-

"كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

قَالَ: وَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (قبل خلق السموات والأرض)

*و هذا شامل لعموم المصائب التى تصيب الخلق من خير و شر فكلها قد كتبت (إِلَّا فِي كِتَابٍ)

في اللوح المحفوظ صغيرها و كبيرها

و هذا أمر عظيم لا تحيط به العقول بل تذهل عنده أفئدة أولى الألباب

(نَبْرَاهَا) نخلق الارض

(إِنَّ ذَلِكَ) أى اثباتها في الكتاب على كثرتة (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) غير عسير

و أخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم و يبنوا عليها ما أصابهم من الخير و الشر
*أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ كِتَابَتُهُ لَهَا طَبَقٌ مَا يُوْجَدُ فِي حِينِهَا سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا
كَانَ وَ مَا يَكُونُ وَ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ 22

لَتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ وَ مَا أَخْطَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكُمْ (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)
فلا يأسوا و يحزنوا على ما فاتهم مما طمحت له أنفسهم و تشوفوا إليه لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح
المحفوظ لا بد من نفوذه و وقوعه فلا سبيل إلى دفعه

(وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) الله فرح بطر و أشر لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم و قوتهم و إنما أدركوه بفضل
الله و منه فيشتغلوا بشكر من أولى النعم و دفع النقم

و لهذا قال: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر فظ غليظ معجب بنفسه

(فَخُورٍ) بنعم الله ينسبها إلى نفسه و تطغيه و تلهيه كما قال تبارك و تعالى: - (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَاهُ

نِعْمَةً مِّثْلًا قَالِ إِنَّمَا أُوْتِيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الزمر: 49 [٣٣]

﴿وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١) الزمر ٤٧

عن قرعة قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد أتيْتُكَ بثوبٍ
لَيِّنٍ مما يُصنع بخراسان، وتقرَّر عيناى أن أراه عليك، قال: أرنيهِ؛ فلمسه وقال:
أحرير هذا؟ قلتُ: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا
فخورا، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢) الحديد ٢٣

قال الذهبي رحمه الله معلقاً: كل لباسٍ أوجد في المرء خيلاء وفخراً فتركه متعین،
ولو كان من غير ذهب ولا حرير، فإننا نرى الشاب يلبس الفرجية (٣) الصوف بفرو

الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين

من أثمان أربعائة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيئته ظاهراً، فإن نصحته
ولمته برقي كابر، وقال: ما فيَّ خيلاء ولا فخر، وهذا السيّد ابن عمر يحاف ذلك على

نفسه (١) ! سير أعلام النبلاء

يجمعون بين أمرين ذميمين اللذين كل منهما كاف في الشر 1- (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ) البخل: - منع الحقوق الواجبة

2- (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ)

فلم يكفهم بخلهم حتى أمروا الناس بذلك و حثوهم على هذا الخلق الذميمة بقولهم و فعلهم و هذا من إعراضهم عن طاعة ربهم و توليهم عنها

*كقوله (الَّذِينَ يَبِخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [النساء: 37]

(وَمَنْ يَتَوَلَّ) عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه و لن يضر الله شيئاً

(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) الذى غناه من لوازم ذاته الذى له ملك السماوات و الأرض و هو الذى أغنى عباده و أقناهم

(الْحَمِيدُ) الذى له كل اسم حسن و وصف كامل و فعل جميل يستحق أن يحمد عليه و يثنى و يعظم ﴿٢٤﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ
 ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
 الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
 فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ تَوَارِثًا مَشُونًا بِهِ
 وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَتَلَايَعَنَّ أَهْلُ الْأَكْتَابِ الْيَقْدُرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ
 وَأَنْ أَفْضَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ) الأدلة و الشواهد و العلامات الدالة على صدق ما جاءوا به و حقيقته.

(وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ)

اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق و إرشادهم إلى ما ينفعهم في دينهم و دنياهم

(وَالْمِيزَانَ) العدل فى الأقوال و الأفعال

و الدين الذى جاءت به الرسل كله عدل و قسط فى:-

1- الأوامر و النواهي

2- و فى معاملات الخلق

3- و فى الجنائيات

4- و القصص

5- و الحدود

6- و المهور و غير ذلك

*كقوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) [هود: 17]

(فَظَرَتِ اللَّهُ إِلَىٰ فَطَرَ النَّاسِ عَلَيْهَا) [الروم: 30]

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) [الرحمن: 7]

(لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) بالحق و العدل الذى ليس وراءه حق

كما قال (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الأنعام: 115] صدقا في الاخبار و عدلا في

الاورامر و النواه ي

* و ذلك قياما بدين الله و تحصيلًا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها و عدها

* و هذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع و هو القيام بالقسط و إن اختلفت أنواع العدل بحسب الأزمنة و الأحوال

(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) من آلات الحرب كالسلاح و الدروع و غير ذلك.

(وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ) و هو ما يشاهد من نفعه فى أنواع الصناعات و الحرف و الأوانى و آلات الحرث

حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا و هو يحتاج إلى الحديد.

(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب و الحديد

فيتبين من ينصره و ينصر رسله في حال الغيب التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها لأنه حينئذ يكون ضروريا.

* و هم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أى و هم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم و إن عرفوه بقلوبهم.

(إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء و لا يفوته هارب

و من قوته و عزته أن أنزل الحديد الذى منه الآلات القوية

و من قوته و عزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه

و لكنه يتلأ أوليائه بأعدائه ليعلم من ينصره بالغيب

* و قرن تعالى فى هذا الموضع بين الكتاب و الحديد لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه و يعلى كلمته بالكتاب

الذي فيه الحجة و البرهان و السيف الناصر بإذن الله

و كلاهما قيامه بالعدل و القسط الذي يستدل به على حكمة الباري و كماله و كمال شريعته التي شرعها على

السنة 25

* و لما ذكر نبوة الأنبياء عموما ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحا و إبراهيم اللذين جعل الله النبوة

و الكتاب في ذريتهما فقال:-

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)

الأنبياء المتقدمين و المتأخرين كلهم من ذرية نوح و إبراهيم عليهما السلام و كذلك الكتب كلها نزلت على

ذرية هذين النبيين الكريمين

(فَمِنْهُمْ) أى ممن أرسلنا إليهم الرسل

(مُهْتَدِينَ) بدعوتهم منقاد لأمرهم مسترشد بهداهم.

(وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ) خارجون عن طاعة الله و طاعة الرسل و الأنبياء كما قال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ

حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف: 103] 26

(ثُمَّ قَفَّيْنَا) أتبعنا

(عَلَى أَئِدِّهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)

خص الله عيسى عليه السلام لأن السياق مع النصارى الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام

(وَأَتَيْنَاهُ بِالْإِنْجِيلِ) الذى هو من كتب الله الفاضلة

(وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ)

كما قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [المائدة: 82]

(رَأْفَةً) رقة

(وَرَحْمَةً) بالخلق

و لهذا كان النصارى ألين من غيرهم قلوبا حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام.

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا)

و الرهبانية: -العبادة فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة و وظفوها على أنفسهم و التزموا لوازم
* و هى اعتزال النساء و الانقطاع فى الأديرة و الصوامع للتعبد.

(مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ) و لا فرضناها

(إِلَّا لَأَتَبِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم قصدهم بذلك رضا الله تعالى و مع ذلك

(فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) ما قاموا بها و لا أدوا حقوقها

فقص—روا من وجهي—ن:

1- من جهة ابتداعهم

2- و من جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم.

* فهذه الحال هى الغالب من أحوالهم. و منهم من هو مستقيم على أمر الله

و لهذا قال:- (فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ^ط)

الذين آمنوا بمحمد ﷺ مع إيمانهم بعيسى كل أعطاه الله على حسب إيمانه

(وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ) 27

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ إِمَّا بَرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ)

أَبُو بَرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ:-

1- رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (التوراة أو الإنجيل ذكرنا كان أم أنثى) آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ

2- وَ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَ حَقَّ مَوَالِيهِ (جمع مولى وهو السيد المالك للعبد أو المعتق له)

3- وَ رَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا (رباها ونشأها على التخلق بالأخلاق الحميدة) فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَ عَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا
ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ " ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: أَعْطَيْنَاكَهَا

(أى هذه الفتوى والخطاب لرجل من أهل خراسان سأله عن يعتق أمته ثم يتزوجها) بِغَيْرِ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيهَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ

*كقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ) [الأنفال: 29]

و هذا الخطاب يحتمل:-

أولاً:- أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى و عيسى عليهما السلام يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم

بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه و يؤمنوا برسوله محمد ﷺ و أنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله

(كفَلَيْنِ) نصيبين (من رَحْمَتِهِ) من الأجر

1- نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين

2- و نصيب على إيمانهم بمحمد ﷺ.

ثانياً:- و يحتمل أن يكون الأمر عاما يدخل فيه أهل الكتاب و غيرهم

و هذا الظاهر و أن الله أمرهم بالإيمان و التقوى الذى يدخل فيه جميع الدين ظاهره و باطنه أصوله و فروع

و أنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم أعطاهم الله

(كفَلَيْنِ من رَحْمَتِهِ) لا يعلم وصفهما و قدرهما إلا الله تعالى:-

1- أجر على الإيمان

2- و أجر على التقوى

أو

1- أجر على امتثال الأوامر

و 2- أجر على اجتناب النواهي

أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى.

(وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا) يعطيكم علما و هدى و نورا (تَمْشُونَ بِهِ) فى ظلمات الجهل

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ) السيئات

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) 28

(لَيْسَ يَلْعَلُ) لِيَعْلَمَ وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَهَا: "لَيْكِي يَعْلَمَ"
 قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:-لَأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ "لَا" صَلَةً فِي كُلِّ كَلَامٍ دَخَلَ فِي أَوَّلِهِ وَ آخِرِهِ جَحْدٌ غَيْرُ مُصَرَّحٍ فَالسَّابِقُ
 هَوَالِهِ: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) [الأعراف: 12] (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 109]
 (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: 95]

(أَهْلُ الْكِتَابِ)

بيننا لكم فضلنا و إحساننا لمن آمن إيماناً عاماً و اتقى الله و آمن برسوله لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم

ليتحققوا انهم (أَلَا يَقْدَرُونَ) بأنهم لا يقدرُونَ (عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ)

لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم و عقولهم الفاسدة و على رد ما اعطاه الله و لا اعطاء ما منعه الله فيقولون: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) ويتمنون على الله الأمانى الفاسدة
 * فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد ﷺ المتقين لله لهم كفلان من رحمته و نور و مغفرة رغما على أنوف أهل الكتاب

و ليعلموا (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذى الفضل العظيم الذي عم فضله أهل السماوات

و الأرض فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين و لا أقل من ذلك 29

جاء في موقع الكحيل:

سؤال الإعجاز: ما هو الإعجاز في رقم سورة الحديد؟

هذا سؤال طرحه أحد الإخوة حول العدد الذرى للحديد و رقم سورة الحديد.. وعلاقته بالوزن الذرى للحديد...

في سورة الحديد معجزتان: علمية و رقمية

فإذا تلفتنا حولنا نرى للحديد أثراً في كل شيء اخترعه الإنسان في القرن العشرين.
 فجميع الآلات والأجهزة يدخل في تركيبها الحديد جميع وسائط النقل و وسائل الاتصال و غيرها حتى الطعام الذى نأكله و اللباس الذى نلبسه وحتى الماء الذى نشرب اليوم و غير ذلك..
 * كل هذه الأشياء تم إعدادها بواسطة آلات صُنعت أساساً من الحديد

فما هو سرّ هذا المعدن الذى يُعتبر سيد المعادن في القرن العشرين؟

الملفت للانتباه أننا عندما ندرس جميع المعادن نجد أن للحديد خواصاً ينفرد بها وحده.
 فهو المعدن الوحيد الذى نستطيع أن نتحكّم بصلابته و متانته بحدود واسعة من خلال إضافة بعض العناصر مثل الكربون.

و لكن ما الذى يعطى الحديد هذه الخواص الفريدة؟

إنها الطريقة التى تركبت فيها ذرات الحديد فبين هذه الذرات توجد قوى عظيمة تشدّ هذه الذرات إلى بعضها ضمن مجموعات تسمى جزيئات الحديد. و عندما يضاف عنصر الكربون بنسبة ما فإن ذرات الكربون الأصغر حجماً تتوضع فى أماكن محددة بين هذه الذرات لتزيد من قوى الشدّ هذه مما يزيد فى مرونة المعدن ومتانته معاً.

يعتبر الحديد من أقوى المواد فى الطبيعة فهو يتمتع بخصائص كثيرة تجعله المعدن الأشد و الأقوى و لذلك تعتمد حضارتنا اليوم على الحديد بشكل واسع

و لولا هذا العنصر لم يتمكن البشر من صنع المركبات الفضائية و الطائرات و أجهزة الاتصال

و لم نكن لنتمتع بهذه الاختراعات...ألا يدعونا ذلك أن نحمد الله تعالى؟

و يمكن القول: فى ذرات الحديد و جزيئاته بأس شديد



لأن كلمة (البأس) تجمع عدة صفات كالمثانة و الصلابة و المرونة و هذه جميعها موجودة داخل الحديد.

و هنا تتجلى عظمة القرآن عندما يصف الحديد بأن فيه بأساً شديداً يقول تعالى: **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)** [الحديد: 25]

و لكن هنالك شيء آخر في هذه الآية و هو كلمة (أنزلنا): -فهل نزل الحديد فعلاً إلى الأرض؟

نحن نعلم منذ بداية خلق الكون أن العنصر الأساسي الذي نشأ في بداية الخلق هو الهيدروجين (و هو أخف العناصر في الطبيعة) ثم بدأت العناصر الأثقل بالتشكل نتيجة للاندماجات النووية و الحرارة المرتفعة و الطاقة الجبارة التي خلفها الانفجار الكبير.

تدل النيازك الساقطة من الفضاء الخارجي أن الحديد نزل من السماء منذ ملايين السنين أثناء تشكل الأرض.

و قد كان يُظن سابقاً أن الحديد الذي على الأرض نشأ من تفاعلات تمت على الأرض.

و لكن أحد الباحثين قاس كمية الطاقة اللازمة لتشكيل الحديد فوجدها كبيرة جداً مثل هذه الطاقة لا تتوفر إلا في النجوم الضخمة (التي هي أضخم بكثير من الشمس).

و قد قاده هذا الأمر إلى التصريح بأن عنصر الحديد لا يمكن أن يتشكل داخل المجموعة الشمسية أو على الأرض

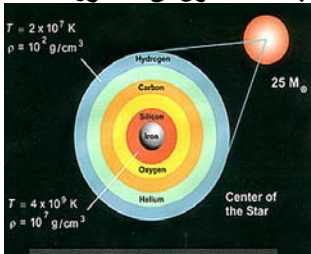
بل تشكل في الفضاء بدرجات حرارة و طاقة عالية جداً ثم قُذِفَ به إلى الأرض على شكل نيازك أي نزل إلى الأرض!!

ثبت علمياً:-

1- أن الحديد الموجود في الأرض نزل نزولاً من السماء.

2- أن القوى الموجودة في عنصر الحديد هي قوة شديدة جداً تجمع بين المثانة و المرونة و الصلابة و هي ما سماه القرآن بالبأس الشديد

*تدل الدراسات العلمية أن الحديد لا يمكن أن يتشكل إلا في قلب النجوم الكبيرة ذات الحرارة العالية جداً كما نرى في الصورة.



فتشكل الحديد يحتاج لنجم يزيد عن كتلة الشمس بأكثر من 26 ضعفاً...

أي أن الحديد نزل من خارج المجموعة الشمسية و وصل إلى الأرض من خلال بلايين النيازك!

و لذلك فإن عنصر الحديد من أكثر العناصر استقراراً في الطبيعة

و لذلك يعتبر من أكثر العناصر شدة و بأساً!!

و لكن الإعجاز لم ينته لأن هذه السورة العظيمة تحوي معجزة عديدة أيضاً!!

3- فالوزن الذري لأحد نظائر الحديد هو (57) و أن رقم سورة الحديد في القرآن هو (57) أيضاً!!

إن هذه الحقائق العلمية و الهندسية و الرقمية تثبت أننا كيفما نظرنا إلى آيات الكتاب العظيم نجدها مُحكمة ومعجزة

و لا تناقض العلم الحديث بل تتفوق عليه. و هذا إثبات على أن القرآن كتاب متكامل ومحكم.

و في هذا المقام نذكر بأن الإعجاز القرآني لا يقتصر على علوم الفلك و الأرض و الطب و غيرها

بل في كل آية من آيات القرآن هنالك معجزة رقمية مبهرة و بناء محكم يدل على أن هذا القرآن كتاب من عند الله تعالى

رتب حروفه و كلماته بنظام رقمي لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله! و هذا ما برهنا عليه من خلال أبحاث الإعجاز الرقمي

و التي تتضمن حقائق رقمية مذهلة تدل على عظمة منزل القرآن سبحانه وتعالى.

ملاحظة:

إن الله تعالى خلق في الكون عدة أنواع من الحديد تسمى نظائر الحديد و عنصر الحديد رقم 57 هو أحد هذه النظائر

وهو يطابق رقم سورة الحديد و لا نعلم الحكمة من ذلك

لماذا اختار الله للحديد هذه النظائر بالذات (55-56-57) والعنصر الغالب في الطبيعة هو 56 الذي يأخذ النسبة الكبرى بين جميع

النظائر؟

***و لكن لماذا جعل سورة الحديد تأخذ الترتيب رقم 57 ؟**

طبعاً لا ندري حتى الآن و لكن هناك حكمة من ذلك نسأل الله تعالى أن ييسر اكتشافها.

لأننا بالطبع لم نكتشف جميع أسرار القرآن وقد حاول بعض الباحثين أن يبدأ العد من سورة البقرة

(على اعتبار أن الفاتحة هي أم القرآن) فإذا كانت سورة البقرة رقمها واحد ستكون سورة الحديد رقمها 56

و هذا يطابق الوزن الذري للحديد (النظير 56) و لكن مثل هذا العمل لا يجوز لأنه نوع من أنواع التحايل على أرقام القرآن

و باختصار نقول:-

إن رقم سورة الحديد هو 57 و الوزن الذري لأحد نظائر الحديد هو 57 و نتوقع أن هذا التطابق لم يأت بالمصادفة و الله أعلم.

